دلالات القسم في الشعر العربي

حلفت برب الراقصات نموذجا

د . ياسر عبد الحسيب رضوان

مصر - القليوبية

العـــــدد الثّـــــامن
ذو القعـــدة ١٤٣٦هـــ
أغســـــطس ٢٠١٥م

مجلة مجمع اللّغة العربية
على الشبكة العالمية

السيرة العلمية:

د. ياسر عبد الحسيب عبدالسلام يوسف رضوان

- ماجستير في الأدب العربي من كلية دار العلوم جامعة القاهرة بتقدير ممتاز سنة ٢٠٠٤م.
- دكتوراه في الأدب العربي من كلية دار العلوم جامعة القاهرة بتقدير مرتبة الشرف الأولى سنة ٢٠٠٧م.
- كبير باحثين بوزارة التربية والتعليم المصرية.

ملخص :

تتعدد أساليب الشعراء وتختلف في التعبير عن تجاربهم الشعرية، ومواقفهم الإنسانية، ولعل لكل تجربة أسلوبًا خاصًّا لا يكون غيرُه أبلغَ منه في التعبير به، ومن ثمة كانت قضية الاختيار التي يقوم بها المبدع الشاعر لما بين يديه من أساليب لغته ودوالها، فهو يختار من بينها ما يناسب تجربته ويدع ما سواه بل إن الاختيار ليصل إلى الأسلوب المختار نفسه ، إذ يقوم المبدع بتخير صورة من صور هذا الأسلوب الذي فضله على غيره ليعبر به عن تجربته ، وهذا الاختيار من المختار نجده في أسلوب القسم الذي قصرنا درسه على " حلفت برب الراقصات " لنبحث عن دلالاته في الشعر العربي القديم.

وقد تنوعت الدلالات السياقية لجملة جواب القسم المرتبطة بجملة القسم وأداتها حلفت بين المدح والفخر والرثاء والهجاء والاعتذار والمرأة ، وهي السياقات التي باتت مكونة الخصوصية لأسلوب القسم الخاص بهذا المركب الفعلي: حلفت برب الراقصات، وهو المركب الحامل لدلالات القدسية التي تتناسب وسياقات القسم بها، وتتناسب كذلك ودلالات المقسَم عليه أو جواب القسم باعتباره المحمول المراد إثباته أو توكيده من قِبَل الشاعر.

Summary:

Semantics Oath in Arabic poetry

There are many methods and different expression of poetic experiences, attitudes, and perhaps to each experience special way don't be cruel informed him in the expression, and there is the issue of choice of the creative poet to the hands of language, her functions, it chooses the appropriate experience and let what else but to check the chosen method is the same as the creator to choose this image

Contextual connotations have varied for Sentence oath associated with the oath and their sworn between praise and pride and lamentation and satire and apologize and women, and is now a privacy settings for the style oath of this compound actual: sworn to the Lord of the dancers, is a composite of the proportionate to the divine character semantics contexts oath and fit well and chunked it semantics or answer oath.

مقدمة :

تتعدد أساليب الشعراء وتختلف في التعبير عن تجاربهم الشعرية، ومواقفهم الإنسانية، ولعل لكل تجربة أسلوبًا خاصًّا لا يكون غيرُه أبلغَ منه في التعبير به، ومن ثمة كانت قضية الاختيار التي يقوم بها المبدع الشاعر لما بين يديه من أساليب لغته ودوالها، فهو يختار من بينها ما يناسب تجربته ويدع ما سواه بل إن الاختيار ليصل إلى الأسلوب المختار نفسه، إذ يقوم المبدع بتخير صورة من صور هذا الأسلوب الذي فضله على غيره ليعبر به عن تجربته، وهذا الاختيار من المختار نجده في أسلوب القسم الذي قصرنا درسه على "حلفت برب الراقصات" لنبحث عن دلالاته في الشعر العربي القديم.

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في عنوانه هذا الذي لم يسبق أن تناوله أحد الدارسين في بحوثهم ودراساتهم، ولم يعثر الباحث على دراسة تناولت أسلوب القسم في الشعر العربي عامة قبل الإسلام أو بعده، أما ما ورد من دراسات ضم عنوانها لفظ القَسَم، فإنها قد اقتصرت على دراسة القَسَم في القرآن الكريم نذكر من المطبوع منها: دراسة الدكتور محمد مختار السلامي مفتي الجمهورية التونسية وعنوانها: القسم في اللغة وفي القرآن [١].

(١) – محمد المختار السلامي : القسم في اللغة وفي القرآن ط١/ ١٩٩٠م – دار الغرب الإسلامي.

ودراسة الدكتور حسين نصار: القسم في القرآن الكريم [١].

ومن الرسائل الجامعية: دراسة الباحث علي بن محمد بن عبد المحسن الحارثي وهي بعنوان: أسلوب القسم في القرآن الكريم دراسة بلاغية [٢] وهي الدراسة التي تقدم بها للحصول على درجة الماجستير من كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية، ودراسة الباحث عبد الله علي عبد الله الهتاري: القسم في القرآن الكريم : تركيبًا ودلالة، وهي الدراسة التي تقدم بها الباحث إلى قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة اليرموك للحصول على درجة الماجستير[٣] ودراسة الباحثة جملة داود عبد الجليل عياش، وعنوانها: أسلوبا الشرط والقسم بين لغة الشعر الجاهلي ولغة الحديث [٤] وهي الدراسة التي تقدمت بها للحصول على درجة الماجستير من كلية الآداب بجامعة الشرق الأوسط، وثمة بحث بعنوان: بلاغة القسم الحجاجية في اعتذاريات النابغة الذبياني،

(١) – د/ حسين نصار: القسم في القرآن الكريم – ط١/ ٢٠٠١م – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة.

(٢) – علي بن محمد بن عبد المحسن الحارثي: أسلوب القسم في القرآن الكريم دراسة بلاغية – مخطوط – كلية اللغة العربية – جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية ١٤١١هـ/ ١٩٩١م .

(٣) – عبد الله علي عبد الله الهتاري: القسم في القرآن الكريم : تركيبًا ودلالة – مخطوط – كلية الآداب – جامعة اليرموك ١٩٩٩م .

(٤) – جملة داود عبد المحسن عياش: أسلوبا الشرط والقسم بين لغة الشعر الجاهلي ولغة الحديث – مخطوط – كلية الآداب – جامعة الشرق الأوسط ٢٠١٠م .

وهي للباحثين: محمد خليل الخلايلة وثناء نجاتي عياش[١] وكان من بين شواهدهما ثلاثة أبيات تحدثنا عنها في ثنايا بحثنا هذا.

أسلوب القَسَم :

يمثل أسلوب القسم في اللغة العربية واحدًا من أساليب التوكيد التي يلجأ إليها المتكلم لتوكيد خطابه ولعله أقواها على الإطلاق؛ لإزالة التردد أو الشك الذي يعلق بالمتلقي قبالة هذا الخطاب، وهو ما يدفعه ـ المتلقي ـ إلى قبول هذا الخطاب سواء كان بالإثبات أو بالنفي، ومن ثمة فقد جعله النحويون العرب من باب الإنشاء غير الطلبي، فهو من الإنشاء من حيث كونه لا يحتمل الصدق أو الكذب، وهو غير طلبي؛ لأنه لا يستدعي مطلوبًا غير حاصل لحظة الطلب، والغرض منه عند سيبويه توكيد الكلام [٢] أو هو "توكيد ما يُقسَم عليه من نفي أو إثبات كقولك والله لأقومَنَّ إنما أكدْتَ خبرَك لِتُزيلَ الشك عن المخاطب" [٣] لأنه بالقَسَم يُزيل شكَّه وريبتَه، ومن ثمة لا يبقى لديه تردُّدٌ في قبول الخبر مثبتًا كان أو منفيًّا، أما إن كان المتلقي جاحدًا للخبر على الجملة ، فإن في القسم زيادة في بيان الحجة التي يواجهها بالجحود ، وتوكيدًا لها فلا يبقى لديه سبب لجحودها.

(١) - نشرت هذه الدراسة في مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية – الجامعة الأردنية - المجلد ٤٠ – العدد ٣ – ٢٠١٣م .

(٢) - سيبويه: الكتاب – تحقيق وشرح عبد السلام هارون - مكتبة الخانجي – القاهرة ١٩٩٢م- ٣/١٠٤.

(٣)- ابن يعيش: شرح المفصل – تقديم د/ إميل بديع يعقوب - ط١/ ٢٠٠١م – دار الكتب العلمية ٥/ ٢٤٤ .

وهذا التوكيد هو ما اتفق عليه علماء النحو العربي كما رأينا عند سيبويه والزمخشري، وعند أبي علي الفارسي "القسم جملة يؤكد بها الخبر" (١) وقال ابن سيده: " اعلم أن القَسَمَ هو يمين يُقسِمُ بها الحالف ليؤكد بها شيئًا يُخبِر عنه من إيجاب وجحدٍ، وهو جملة يؤكِّد بها جملة أخرى، فالجملة المؤكَّدةُ هي المُقْسَم عليه، والجملة المؤكِّدة هي القَسَم " (٢) والحال كذلك عند المفسرين الذين اتفقوا على " أن القَسَمَ واحد من أساليب توكيد الكلام " (٣) فقد ذكر الواحدي في التفسير البسيط " أن اليمين موضوعة لتوكيد الخبر الذي يخبر به الإنسان إما مُثبتًا للشيء أو نافيًا، ولما كان الخبر يدخله الصدق والكذب ، لم يأمن المُخبِر بالشيء عن نفسه أن يُردَّ خبرُه ولا يُقبل، فأكد خبره باليمين" (٤) وربما كانت تسميتهم الحَلِفَ بالقسم منطلقة من الحاجة إليه تلك التي تحصل بسبب انقسام الناس عند سماع الخبر إلى مُصَدِّق ومُكَذِّب.

أما في البلاغة العربية، فقد سماه ابن أبي الإصبع المصري [ت ٦٥٤هـ] القسم، وقال عنه: " أن يريد المتكلم الحَلِفَ على شيء، فيحلف بما يكون له مدحًا، وما يكسبه فخرًا، أو ما يكون هجاءً لغيره،

(١) - أبو علي الفارسي : كتاب الإيضاح تحقيق د/ كاظم بحر المرجان ص ٢٠٨- ط٢/ ١٩٩٦م – عالم الكتب.

(٢) - ابن سيده: المخصص– دار الكتب العلمية – د- ت - ١٣/ ١١٠ .

(٣) - د/ محمود أحمد الصغير : الأدوات النحوية في كتب التفسير - ط١/ ٢٠٠١م – دار الفكر – دمشق ودر الفكر المعاصر – بيروت - ص ٥٩٤ .

(٤) - الواحدي: التفسير البسيط – تحقيق د/ محمد بن منصور الفايز - سلسلة الرسائل الجامعية – ١٠٥- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – ١٤٣٠هـ - ٨/ ٣٤٩ .

أو وعيدًا له، أو جاريًا مجرى التغزُّل والترقُّق" [١] وزاد في بديع القرآن على ذلك "أو خارجًا مخرج الموعظة والزهد " [٢] وتابعه في التسمية ذاتها ابن الأثير الحلبي [٧٣٧هـ] وكذلك في التعريف الذي ضمنه تحرير التحبير، وأضاف إليه ابن الأثير أن يكون من بين أغراض القسَم "أن يكون تعريضًا لغيره" [٣] وكذلك فعل ابن حجة الحموي [ت ٨٣٧هـ] وإن كان قد زاد في الأغراض الهزل الذي يراد به الجد[٤].

أما يحيى بن حمزة العلوي، فقد سماه الاقتسام، وقال عنه: "وهو افتعال من قولهم اقتسم اقتساماً وقاسم مقاسمة وقاسم قِساماً إذا حلف، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الأعراف] ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ [النحل: ٣٨] وهو في مصطلح علماء البيان عبارة عن أن يحلف على شيء بما فيه فخر، أو مدح، أو تعظيم، أو تغزُّل، أو زهْو، أو غير ذلك مما يكون فيه رشاقة في الكلام وتحسين له"[٥].

(١) - ابن أبي الإصبع: تحرير التحبير – تحقيق حفني محمد شرف - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – مصر ص ٣٢٧.

(٢) - ابن أبي الإصبع: بديع القرآن – تحقيق حفني محمد شرف - دار نهضة مصر ص ١١٢.

(٣) - ابن الأثير الحلبي: جوهر الكنز – تحقيق وتقديم د/ محمد زغلول سلام - منشأة المعارف – الإسكندرية – ٢٠٠٠م - ٢٦٦/١.

(٤)- ابن حجة الحموي: خزانة الأدب – تقديم وضبط د/ صلاح الدين الهواري - ط١/ ٢٠٠٦م – المكتبة العصرية – بيروت ١/ ٣٢١ .

(٥) - العلوي: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز - دار الكتب العلمية ٣/ ١٥٣- ١٥٤.

ولم يتطرق علماء البلاغة العربية القديمة إلى كون أسلوب القَسَم من أساليب التوكيد في اللغة العربية مثلما فعل النحاة الذين يبدو أن ذكرهم التوكيد قد وافقتْه البلاغة الجديدة فيما عُرف عندها بالحِجاج الذي حدد موضوعه كل من بيرلمان وتيتكاه بأنه "درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يُعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم" (١) وهو ما يُزيل الشكَّ عن المتلقي المخاطَب في قول الزمخشري، أو " تحقق الجواب عند السامع وتأكده؛ ليزول عنه التردد فيه " (٢) أو أمْن المتكلِّم أن يُرد خبره ولا يقبل كما أشار الإمام الواحدي، ذلك أن " غاية كل حِجاج أن يجعل العقول تذعن لما يُطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحِجاج ما وُفِّقَ في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب ـ إنجازه أو الإمساك عنه ـ أو هو ما وُفِّقَ على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة " (٣) ومن ثمة كان أسلوب القسم من آليات الحِجاج في خطاب البلاغة الجديدة ، ومما يُحمد للبلاغة العربية أنها قدمت الدلالات التي يُساق من أجلها أسلوب القسم، وهي الدلالات عينها التي نظر إليها البحث بعين الاعتبار .

(١) – عبد الله صولة الحِجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال : مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة لبرلمان تيتكاه – ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم – إشراف حمادي صمود– كلية الآداب – منوبة – جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية – تونس – ص ٢٩٩.

(٢)- الزركشي: البرهان في علوم القرآن – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – ط٢ – دار المعرفة – بيروت ٢/ ٣٧٤ .

(٣)- الحجاج : أطره ومنطلقاته وتقنياته ـ السابق ـ الصفحة نفسها .

وإذا كان القسم آليَّةً من آليات الحِجاج في البلاغة الجديدة، فإنه كذلك ذو قيمة تداولية من حيث كونه نشاطًا لغويًّا ذا خصوصية تعبيرية متكئة على نوعين من الجمل ـ القسم وجوابه ـ يئولان إلى جملة واحدة لارتباطهما التراتبي بغية إنتاج قناة واحدة للتواصل مع المتلقي، هي قناة الإذعان والتسليم بما يريد المرسِل إيصاله إلى متلقيه، فالتداولية تدل على " كيفية إدراك المعايير التي توجهه عند إنتاج الخطاب، بما في ذلك استعمال مختلف الجوانب اللغوية في ضوء عناصر السياق بما يكفل ضمان التوفيق من لدُن المرسَل إليه عند تأويل قصده، وتحقيق هدفه" (١) واستعمال مختلف الجوانب اللغوية في القسم لا يقف عند استخدام جملتيه وحدهما، وإنما قد يتوسل بأساليب الشرط وأدوات التوكيد وغيرها مما يكفل تأويل القصد وتحقيق الهدف من القَسَم.

مفاتيح دلالية :

اتخذ البحث من "حلفت برب الراقصات" نموذجًا للوقوف على دلالات القسم في الشعر العربي القديم، ولنا أن نتوقف هنا عند هذه الدوال المفاتيح الثلاثة للبحث في دلالاتها اللغوية وعلاقاتها بالسياقات الشعرية التي وظفها الشعراء فيها، وأول هذه المفاتيح هو الفعل الماضي الثلاثي المسند إلى تاء المتكلم حلفت لنجد أن جذره اللغوي حَلَفَ يستدعي دلالات الملازمة التي هي أصل ذلك الجذر اللغوي في قول

(١) - عبد الهادي ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب : مقاربة لغوية تداولية - ط١/ ٢٠٠٤م – دار الكتاب الجديد – بنغازي – ليبيا - ص ٢٢ .

ابن فارس[١] والملازمة تستدعي الحليف والمحالف لملازمته من يحالفه، كما يستدعي هذا الجذر اللغوي القَسَم والعهد، يقال حالفه أي عاهده، وأصل الحِلْف المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق، وحالف بينهم ـ كما في حديث أنس أي: آخى بينهم، والحليف هو الحالف، وهو الحديد يقال حديد اللسان أي: فصيحه، وسِنان حليف أي: حديد؛ لأنه شُبِّهَ حدة طرفه بحدة أطراف الحَلْفاء[٢].

وإذا أردنا الجمع بين هذه الدلالات اللغوية لمادة حَلَفَ، وجدناها جميعها دلالات ذات قدسية أو لنقل إنها منتجة لعلاقات ذات قدسية وتعظيم، خذ من ذلك العهد والقَسَم خاصة أن العرب قد سموا الحَلِفَ بالقَسَمِ حال احتياجهم للحَلِف بسبب " انقسام الناس عند سماع ذلك الخبر إلى مصدق به ومكذب "[٣] ومن دلالات مادة حَلَفَ كذلك: الملازمة والمؤاخاة بين طرفين ولعلها منطلقة كذلك من الأصل اللغوي حيث الرغبة في إزالة الانقسام بين الطرفين اللذين تستدعيهما مادة الحَلِف المسندة هنا " إلى ضمير المتكلم الذي يشير إلى أثرة الشاعر / الحالف بالحديث "[٤] لارتكاز الحدث اللغوي حوله، أو لأنه من يريد أن يذعن المتلقي على تقبل خطابه دون أن يتردد أو يتشكك فيه.

(١)- ابن فارس : مقاييس اللغة – تحقيق وضبط عبد السلام هارون - دار الفكر – دمشق ١٩٧٩م -٢/٩٧.

(٢)- ابن منظور : لسان العرب مادة حلف– دار الفكر – د٠ت– ٩/٥٣- ٥٦ .

(٣)- الفخر الرازي : تفسيره المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب– ط٣/ ١٩٨٥م – دار الفكر – بيروت ١٣/ ١٥٠ .

(٤)- د/ ياسر عبد الحسيب رضوان : شعر حميد بن ثور الهلالي – دراسة أسلوبية - ط١/ ٢٠٠٨م ص ٣٤٥.

ومن الجدير بالذكر في هذا السياق أن مادة حلف في صيغة الماضي قد استخدمت في القرآن الكريم مرة واحدة مع المؤمنين للدلالة على صدق عزيمتهم، أما في صيغة المضارعة فلم تُستخدم في القرآن الكريم إلا في سياقات دالة على الحنث باليمين وذلك في إحدى عشرة مرة [١] أما في الحديث النبوي، فقد "استعمل الرسول ﷺ الفعل حلف وما يُشتقُّ منه في معرض اليمين الكاذب" [٢] وهي سياقات إخبارية تُشير إلى أنه ﷺ لم يستخدم هذا الفعل ليُقسِم به، وإنما ليُخبر به عمن يستخدمونه في أيمانهم.

والمفتاح الثاني هو الدالة ربّ، والراء والباء منتجة لأصول دلالية ترتبط بصورة أو بأخرى بالدالة المفتاحية الأولى وهي حلفت، فمن أصول رب عند ابن فارس في مقاييسه: إصلاح الشيء والقيام عليه، والربّ هو المالك والخالق والصاحب والمُصلِح للشيء، ومنها: لزوم الشيء والإقامة عليه وهذا مما يناسب الأصل السابق يقال: أربت السحابة هذه البلدة إذا دامت، ومنها: ضمّ الشيء للشيء، ومنها: العهد فالرِّبابة هي العهد، ويقال للمتعاهدين: أربَّة [٣] والمتعاهدان يلتزمان بما تعاهدا عليه وملازمته.

(١) – محمد المختار السلامي : القسم في اللغة وفي القرآن – سابق – ص ٢١- ٢٢.
(٢) – جملة داود عياش : أسلوبا الشرط والقسم بين لغة الشعر الجاهلي ولغة الحديث الشريف ـ سابق ـ ص ١٠٨.
(٣) – ابن فارس : مقاييس اللغة ٢/ ٢٨١- ٣٨٣ .

وأما المفتاح الأخير فهو الراقصات بجمع المؤنث المستدعي للتداخل الدلالي بين الحيوان الأعجم حيث الإبل الراقصات، والمرأة العاقلة ـ الإنسان عامة ـ والجامع بينهما هو الفرح والسعادة؛ لأن المادة اللغوية رقص بدلالتها على الارتفاع والانخفاض لا تُقال إلا للأَّعب والإبل كما يقول ابن منظور [١] والرقص هو الخبب ضرب من ضروب سير الإبل فيه سرعة، ومن ثمة فالراقصات هنا إنما هي إشارة إلى الإبل المسرعة في سيرها بين انخفاض وارتفاع في رحلة تبدو فيها الإبل مسرورة بما هي مقدمة عليه، وهو في أكثر مواضع القسم ـ موضوع البحث ـ مِنًى بدلالتها على الأماكن المقدسة ومواسم الحج.

دلالات القسم في الشعر :

وإذا اتكأنا على الأغراض الدلالية لأسلوب القسم كما وعتها الذاكرة البلاغية العربية أمكننا أن نقف عند الدلالات التالية :

١ـ المدح :

ارتبط المدح في ذاكرة الشعرية العربية بالإشادة بالأوصاف الكريمة والخلال الحميدة في السلم كانت أو في الحرب، ومن ثمة يرتبط بحسن الثناء على الممدوح بما فيه من الصفات الجميلة خِلْقية كانت أو اختيارية، وقد ذهب قدامة بن جعفر إلى أن أهل الألباب متفقون على أن الصفات التي يمدح بها الرجال " إنما هي العقل والشجاعة والعدل

(١)- ابن منظور : لسان العرب – مادة رقص ٧/ ٤٢- ٤٣ .

والعفة، وكان القاصد لمدح الرجال بهذه الأربع الخصال مُصيبًا، والمادح بغيرها مُخطِئًا " [١] وكانت نظرة ابن رشيق القيرواني إلى فن المدح مغايرة لنظرة قدامة الذي قصر المدح على هذه الخصال الأربعة السابقة وما تعلق بكل منها في الحقل الدلالي؛ حيث ذهب ابن رشيق إلى القول بأن " المدح بالفضائل النفسية أشرف وأصحّ، فأما إنكار ما سواها كَرَّةً واحدةً، فما أظنُّ أحدًا يساعده ـ يقصد قدامة ـ فيه ولا يوافقه عليه" [٢] وربما كان ابن رشيق مُحقًّا فيما ذهب إليه من حيث كون الفضائل النفسية أكثر ارتباطًا بخصوصية الممدوح، بيد أننا نرى أن الجمع بين الفضائل كلها نفسية أو جسمية في سياقات المدح أقرب إلى دلالة هذا الفن.

والمدح أعم من الحمد، وهو مأخوذ من قولهم: انمدحت الأرض وتمدَّحَتْ وامَّدحتْ وامتدحتْ إذا اتسعت، ومن ثمة كان المدح بمعنى وسّعت شكره [٣] على ما يتمتع به من هذه الصفات الجميلة، التي قد يكون مردودها عائدًا على المادح وحده، أو على غيره ممن يعنيه أمرهم، ولعل عموم المدح وخصوص الحمد قد كان أقرب رحمًا بالعصر الجاهلي الذي احتفل شعراؤه بالمدح أيما احتفال، وربما جاء

(١) - قدامة بن جعفر: نقد الشعر – تحقيق كمال مصطفى - ط٣/ ١٩٧٨م – مكتبة الخانجي – القاهرة ص ٦٦.

(٢) - ابن رشيق القيرواني: العمدة في صناعة الشعر ونقده – تحقيق وشرح د/ مفيد قميحة - ط١/ ١٩٨٣م – دار الكتب العلمية – بيروت ص ٣٤٨.

(٣) - الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس – تحقيق عبد السلام هارون - ط٢/ ١٩٩٤م – مطبعة حكومة الكويت ٧/ ١١١- ١١٢ .

تعريف بعض المعاصرين المدحَ بأنه " ثناءٌ حسنٌ يرفعه إنسانٌ ما إلى إنسانٍ آخر حيٍّ، أو جماعة آخرين أحياء؛ عرفانًا بالجميل، أو طلبًا للنوال، أو رغبة في الصفح والمغفرة وأملاً في تحقيق هدف كبير " [(١)] مع التعريف اللغوي السابق للزبيدي، خاصة مع بروز ظاهرة التكسُّب بالشعر العربي تلك الظاهرة التي اعتُبرتْ " منعطفًا خطيرًا وحادًّا في مسار المدح العربي؛ حيث بدأ الشاعر المادح رُويدًا رُويدًا يتخفف من قيود القبيلة والالتزام بمصالحها، ثم يتحلل فيما بعد منها، ليستحيل دوره لونًا صارخًا في خدمة الطبقة المثرية والالتزام بمصالحها والانقطاع لخدمتها" [(٢)] وذلك على نحو ما عُرف عن النابغة والأعشى.

ومع ظهور الإسلام ـ خاصة في عصر النبوة والخلافة الراشدة ـ وانتشار نوره في الأرض كانت الإشادة ـ إلى جانب ما سبق من الصفات والفضائل ـ بالقيم الإسلامية التي غرسها الإسلام الحنيف في النفوس؛ ولذلك وجدنا الشعراء من الصحابة يتبارون في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، من ذلك ما قاله الصحابي الشاعر مُسْلِية بن هِزَّان أو بن حدان الحُدّاني الذي وفد على النبي صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة [(٣)] وقد

(١) - د/ وهب أحمد رومية : بنية القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي – قصيدة المدح نموذجًا ـ– دار سعد الدين – دمشق ١٩٩٧م - ص ٢٠

(٢) - د/ السعيد حامد شوارب : المدح في الشعر الجاهلي– مطبعة المدني – القاهرة ١٩٩٦م - ص ١٢٠.

(٣)- ابن حجر العسقلاني :الإصابة في تمييز الصحابة – تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي– ط١/ ٢٠٠٨م – مركز هجر للبحوث العربية والإسلامية - ١٠/ ١٧٥.

استخدم هذا الشاعر جملة القسم التي عنونا بها لدراستنا هذه، في أربعة أبياتٍ أنشدها بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم عندما وفد عليه وهي قوله [طويل] [(١)] :

حَـــــلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَـــــاتِ إِلَى مِـــــنًى

طَـــوَالِـــعَ مِـنْ بَيْنِ الْقَصِيمَةِ بِالـــرَّكْبِ

بِـــــأَنَّ نَـــــبِيَّ اللهِ فِينَـــا مُحَـمَّـــــــــدٌ

لَهُ الرَّأْسُ وَالْقُدْمُوسُ مِنْ سَلَفَيْ كَعْـــبِ

أَتَانَـــا بِبُرْهَـــــانٍ مِـــنَ اللهِ قَـــــابِسٍ

أَضَـــاءَ بِهِ الرَّحْمِـــنُ مُظْلِمَةَ الْكَـــرْبِ

أَعَـــــزَّ بِـــــهِ الأَنْصَـارَ لَمَّـا تَقَـارَنَتْ

صُدُورُ الْعَوَالِي فِي التَّنَاوُشِ وَالضَّـــرْبِ

وإذا كان الشاعر قد أسلم بعد فتح مكة، أيْ بعدما فُرِضتْ شعيرة الحج على المسلمين، فإنه مما لا مراء فيه أن الشاعر ـ وهو حديث عهد بالإسلام ـ قد استدعى جملة القسم الأثيرة هذه من الجاهليين؛ إذ كان

(١)- الإصابة في تمييز الصحابة ١٠/ ١٧٥- ١٧٦ ، وهي عند المرزباني في معجم الشعراء – تصحيح وتعليق د/ ف ٠ كرنكو- ط٢/ ١٩٨٢م – دار الكتب العلمية ص ٤٧٠ ـ بإسقاط بين من عجز البيت الأول ، وهو ما يُخل بالوزن.

الحج شعيرة معروفة عندهم، وكانت شعائرها معهودة ومقدسة لديهم، وهو ما رأيناه في تكرار المقسَم به ـ رب الراقصات ـ وتحديد وجهة الرقص بأنها منى كمشعر من مشاعر الحج في الجاهلية والإسلام كذلك، أما جملة الجواب، فقد جاءت لتأكيد خصوصية النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم، وأنه له العزة والسيادة / القدموس؛ حيث أتاهم بالبرهان القرآني من الله تعالى ليضيء لهم به الظلمات ويُعزّ به الأنصار عندما تثور المعارك، وتجدنا هنا أمام تغيُّر دلالي يُحدثه أسلوب القسم المتوسل بالأداة الفعلية حلفت، حيث يوجه مدلول القسم نحو دلالة جديدة لم تشهدها الدلالة في العصر السابق على الإسلام، وهي دلالة مدح من فُرض الحج مع رسالته الإسلامية، ومن ثمة نجد المدح هنا مُعبِّرًا عن المشاعر القلبية الصادقة من الشاعر نحو ممدوحه وهو النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى ذلك يبتعد المدح عن ظاهرة التكسب بالشعر التي ألفيناها عند الشعراء الجاهليين من أمثال زهير بن أبي سلمى وارتباطه بهرم بن سنان، والنابغة الذبياني الذي ارتبط بالنعمان بن المنذر والأعشى الذي اشتهر بمدح الملوك.

ولعل هذه المشاعر الصادقة التي يمكن أن نعبر عنها بصدق العاطفة قد كانت من بين مظاهر تطور فن المدح في صدر الإسلام عنه في الشعر الجاهلي، صحيح أن الشعراء من الصحابة ـ كما يقول الدكتور شوقي ضيف ـ قد كانوا " يمدحون النبي صلى الله عليه وسلم بالشجاعة والسعة والكرم والبطش بالأعداء والوفاء بالعهود وكأنهم يمدحون ملوكهم

وسادتهم القدماء " [١] ومع ذلك فإن صدق العاطفة في مديح الرسول صلى الله عليه وسلم مع المعاني والقيم الدينية الإسلامية التي احتفل بها الشعراء قد كان من بين مظاهر تطور المدح في العصر الإسلامي.

ومن هؤلاء الشعراء نجد مالك بن نمط الهمداني وهو الوافد ذو المشعار[٢] الذي استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على من أسلم من وفد همدان عندما لقوا الرسول في السنة التاسعة للهجرة بعد غزوة تبوك، وأمره بقتال ثقيف، فكان لا يخرج لهم سرح إلا أغاروا عليه، وقد ارتجز مالك بين يديْ الرسول صلى الله عليه وسلم[٣] وكان مما قاله مالك بن نمط في رسول الله صلى الله عليه وسلم [طويل] [٤]:

ذَكَرْتُ رَسُــولَ اللهِ فِي فَحْمَــةِ الدُّجَى

وَنَحْنُ بِأَعْــلَى رَحْــرَحَانَ وَصَلْدَدِ

(١) - د/ شوقي ضيف : التطور والتجديد في الشعر الأموي - ط٥/ ١٩٧٣م – دار المعارف – القاهرة ص ١٦.

(٢)- ابن عبد البر : الاستيعاب في أسماء الأصحاب - دار الفكر- بيروت ٢٠٠٦م - ٢/ ٢٠٤.

(٣) - الأرجوزة في الإصابة لابن حجر العسقلاني ٩/ ٤٩١ ٠

(٤) - الاستيعاب في أسماء الأصحاب ٢/ ٢٠٥ ، والأبيات نفسها عند ابن الأثير الجزري في كتابه : أسد الغابة في معرفة الصحابة – تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود. ٤٧/٥ – دار الكتب العلمية، والأبيات منها خمسة في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة ٩/ ٤٩١- ٤٩٢ .

وَهُـنَّ بِنَـــا خَوْصٌ طَلاَئِـــحُ تَغْتَلِي

بِـرُكْبَـــانِهَـا فِي لاَحِـــبٍ مُتَـمَـدِّدِ

عَلَى كُـلِّ فَتْـــلاَءِ الذِّرَاعَـيْنِ جَعْـــدَةٍ

تَمُـرُّ بِنَـا مَـرَّ الْهِجَـفِّ الْخَفَيْـدَدِ

حَـلَفْـتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَـاتِ إِلَى مِـــنًى

صَـوَادِرَ بِالرُّكْبَـانِ مِـنْ هَـضْبِ قَـرْدَدِ

بِـــأَنَّ رَسُـــولَ اللهِ فِينَـــا مُصَـدَّقٌ

رَسُولٌ أَتَى مِنْ عِنْدِ ذِي الْعَرْشِ مُهْتَدِ

لَمَـــا حَمَلَتْ مِـــنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَـــا

أَشَـدَّ عَلَى أَعْـدَائِهِ مِـــنْ مُحَمَّـــدِ

وَأَعْـــطَى إِذَا مَـا طَالِبُ الْعُرْفِ جَاءَهُ

وَأَمْـضَى بِحَـدِّ الْمَشْـرَفِيِّ الْمُهَـنَّـــدِ

لقد استدعى الشاعر جملة القسم المخصوصة بشعيرة الحج بخصوصيتها المطلقة في الإسلام بعدما صارت فريضة ولبنة من اللبنات التي بُنيَ عليها ـ خاصة وأن إسلام الشاعر كان بعد فرضها، فقد ذكرنا أنه

لقي الرسول صلى الله عليه وسلم مع وفد همدان بعد غزوة تبوك التي كانت في السنة التاسعة للهجرة ـ ثم استدعى جملة الجواب التي صدرها بالباء للدلالة على المصاحبة والملازمة بين الجملتين، وهي في الآن عينه مصاحبة دلالية؛ لارتباط الحج بالنبي المصدق، ولم يكتف بالصدق وإنما أعطى الوصف مشروعية القبول من المتلقي؛ لأنه جاء من عند الله عز وجل ذي العرش، ثم اختتم جملة الجواب بالوصف المرتبط دلاليًّا بالصدق وهو مهتدٍ؛ لأنه لو لم يكن مهتديًا من عند ذي العرش لما كان صادقًا.

وفي العصر الأموي يلفتنا الأخطل ـ وهو الشاعر النصراني الذي ظل على نصرانيته، وإن بدا في بعض شعره ما يستدعي إسلامه[(١)] ـ نحو استخدامه جملة القسم هذه التي ندور حولها في بحثنا هذا، بل إنه ليتمادى في هذا القسم كما يقول إيليا حاوي[(٢)] فقد جاء بأسلوب القسم في أربعة أبيات وذلك في رائيته التي يمدح بها الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك بن مروان، وجاءت القصيدة في تسعة وأربعين بيتًا لم يبعد في بنيتها عما درج عليه الشعراء السابقون، إذ تحدث فيها عن المرأة والصحراء والناقة والثور والخمر، ثم خص المدح فيها بالأبيات السبعة الأخيرة وصدرها بأبيات القسم، قال الأخطل [بسيط] [(٣)] :

(١) - إيليا حاوي : الأخطل في سيرته ونفسيته وشعره- انظر الهامش رقم ٥ – ط٢/ ١٩٨١م – دار الثقافة – بيروت ص ٦٨ .

(٢) - الأخطل في سيرته ونفسيته وشعره ـ السابق ـ ص ٢٥.

(٣) - الأخطل : شعره – صنعة السكري برواية ابن حبيب – تحقيق د/ فخر الدين قباوة ص- ط٤/ ١٩٩٦م – دار الفكر المعاصر – بيروت - ١٢٩- ١٣٠.

إِنِّي حَلَفْـتُ بِرَبِّ الرَّاقِـصَـاتِ وَمَـا
أَضْحَى بِمَـكَّةَ مِنْ حُجْـبٍ وَأَسْتَارِ
وَبِالْهَـدِيِّ إِذَا احْمَـرَّتْ مَـذَارِعُهَـا
فِي يَوْمِ نُسْـكٍ وَتَشْـرِيقٍ وَتَنْحَـارِ
وَمَـا بِزَمْـزَمَ مِنْ شُمْـطٍ مُحَلَّقَـةٍ
وَمَـا بِيَثْرِبَ مِـنْ عُـونٍ وَأَبْـكَارِ
لأَلْجَـأَتْنِي قُرَيْـشٌ خَـائِفًا وَجِـلاً
وَمَـوَّلَتْنِي قُـرَيْشٌ بَعْـدَ إِقْتَـارِ

وإذا نحينا أمر المعتقد الديني جانبًا وقصرنا نظرتنا على الشعر وبنيته وجدناه يسوق قَسَمَه هذا في ثلاثة أبيات لم نرها في النماذج السابقة ولا اللاحقة فيما بعد، إذ لم يعط شاعر من قبله ولا من بعده مثل هذه المساحة للقَسَم الذي يستدعي فيه أكثر من منسك من مناسك الحج بدءاً بالإبل الراقصات في سيرها إلى مكة، والخيام والحجب الساترة للحجيج، وبما يُهدى إلى البيت الحرام من الهدي، وبالنسك والتعبد والذبائح والأضاحي، وانتهاءً بصورة النساء عند ماء زمزم، كل هذه المناسك بشغلها لهذه المساحة الشعرية يجعلنا نسائل النفس هل كان الشاعر المادح " مغرقًا في إيراد الألفاظ الدينية كمكة والحجب والأستار

والهدِيّ والنسك وزمزم، متماديًا في أبيات ثلاثة ليغالي بالتأكيد فيما ذهب إليه من أمر حمايتهم " [١] وهو ما جاء به جواب القسم المصدَّر بلام القَسَم الدالة على تأكيد ما يُقسِم الشاعر عليه ؟!.

ومن الملاحظ أن الشاعر قد تعمد التوسع في مساحة القسم، واستأنس بهذه الألفاظ ذات المردود الديني الذي يحمل رصيدًا ما في نفسه، هذا الرصيد يستدعيه القسم به، والعرب لا تقسم إلا بشيء معظم عندها جميعًا، وعند الحالِف نفسه، وإلا لما استدعاه مُقسَمًا به، ربما ليؤكد على صدق ما يقسم عليه من حماية قريش ونعمتها عليه، وكأن هذه المناسك لا يمكن أن يوصف جوها إلا بالصدق الذي يستدعي صدقه هو فيما يقول، وربما كانت الدلالة في اتساع مساحة القسم هنا إنما لتوائم سعة ما أنعمت عليه به قريش من الأمن والمال والحماية من الشدائد، وإذا كان قد خصّ قريشًا بالذكر هنا دون يزيد الذي مدحه بهذه القصيدة، فإنما للدلالة على أن قريشا كلها قد حبته بالأفضال والنعم ممثلة في يزيد الخليفة، أو ربما لا هذا ولا ذاك، وإنما أراد الشاعر أن يسير في قسمه سيرة سابقيه من الشعراء.

وفي سياق المدح نجد الشاعر الأيوبي ابن عُنين [٥٤٩هـ – ٦٣٠هـ] واسمه شرف الدين أبو المحاسن محمد بن نصر بن الحسين الذي ينتهي نسبه إلى الأنصار، نجده قد أحب بني أيوب وخاصة صلاح الدين وأبناءه وأخاه سيف الإسلام طغتكين ملك اليمن التي زارها ابن عُنين من بين ما

(١) – الأخطل في سيرته ونفسيته وشعره ص ٦٩ .

زار من البلاد الإسلامية، وقد أكرم طغتكين وفادته وأحسن إليه، وقد مدحه ابن عنين مدحًا عبّر به عن مكانة سيف الإسلام في نفسه، من ذلك ما قاله في قصيدته الميمية التي يتشوق فيها إلى دمشق [طويل] [(١)] :

حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ إِلَى مِنًى

وَمَنْ فَرَضَ السَّبْعَ الْجِمَارَ وَمَنْ رَمَى

لَمَا أَرَجَاتُ الرَّوْضِ جَاءَتْ بِهَا الصَّبَا

سُحَيْرًا وَلاَ الْمَاءُ الزُّلاَلُ عَلَى الظَّمَا

وَلاَ فَرْحَةُ الإِثْرَاءِ مِنْ بَعْدِ فَاقَةٍ

عَلَى قَلْبِ مَنْ مَا نَالَ فِي الدَّهْرِ مَغْنَمَا

بِأَحْسَنَ وَجْهًا مِنْ حَبِيبِي مُقَطِّبًا

فَكَيْفَ إِذَا عَايَنْتَهُ مُتَبَسِّمَا

فنحن نلحظ على أسلوب القسم هنا أن الشاعر أخلى البيت الأول كله لاستدعاء مشاعر الحج حيث الإبل المتوجهات إلى مِنًى والجمار السبع ومن يقوم برميها من الحجيج، ثم يعقد موازنة بين أمور يضعها في كِفة

(١)- ابن عُنين : ديوانه – تحقيق خليل مردم بك– الطبعة الثانية – دار صادر – بيروت – د. ت - ص ٨٢.

مقدِّمًا لها باللام الزائدة وأدوات النفي ما، لا التي كررها في البيتين الثاني والثالث، ليصل بهما إلى الخبر المسبوق بالباء الزائدة، وذلك للتأكيد على أن هذه المنفيات : أرجات الروض والماء الزلال، وفرحة الغنى بعد الفاقة، ليست بأحسن من وجه حبيبه ـ ممدوحه ـ عندما يُقطب هذا الوجه في دلالة على العبوس والغضب، ومن ثمة نلحظ ما تنتجه دلالة جواب القسم من توجه جديد نحو المدح؛ إذ نجد الشاعر وكأنه يتغزل في ممدوحه مستخدمًا كلمة حبيبي المضافة إلى ياء المتكلم بدلالتها على التملك، فالممدوح حبيبه هو دون غيره أحسن وجهًا حال الغضب والعبوس، فما باله لو كان متبسمًا ؟! لا شك إنه يكون أشد حُسْنًا في عينيْ محبوبه المادح وهو الشاعر ابن عُنين، وهذا التغير الدلالي وإن كنا لم نره عند السابقين، إلا أنه لم يبعد عن السياق العام الذي يسلك الممدوح في سلك المقربين من المادح.

٢ـ الفخر :

تدل المادة اللغوية للفخر على العظمة والقِدَم [(١)] أما في الشعر العربي، فالفخر أو الافتخار " هو المدح نفسه إلا أن الشاعر يختص به نفسه وقومه، وكل ما حسُن في المدح حسُن في الافتخار وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار " [(٢)] ومن ثمة يمكن القول بأن الفخر " ضرب من الحماسة وهو التغني بالفضائل والمثل العليا والتباهي بالسجايا النفسية

(١)- ابن فارس : مقاييس اللغة ٤/٤٨١.

(٢) - ابن رشيق القيرواني : العمدة ـ سابق ـ ص ٣٥٥.

والصفات القومية، والزهو بالفعال الطيبة " [١] مما يشير إلى أن الفخر يتم كذلك بكل الخصال الطيبة فردية كانت أو جماعية ذاتية كانت أو غيرية، وهذه الدلالات جميعها نراها في ضادية طرفة بن العبد التي خاطب فيها عمرو بن هند، والعبديّ الذي سجنه إلى حين قتله، وكان هذا العبدي قد بعث له جارية يقال لها خولة، فأبى طرفة أن يقبلها [٢] وقال قصيدته هذه التي يدل مطلعها على رجل عاف الدنيا وما فيها وقد أشرفَ على الموت، قال طرفة [طويل] [٣] :

أَلاَ اعْتَزِلِينِي الْيَوْمَ خَوْلَةُ أَوْ غُضِّي

فَقَدْ نَزَلَتْ حَدْبَاءُ مُحْكَمَةُ الْعَضِّ

أَزَالَتْ فُؤَادِي عَنْ مَقَرِّ مَكَانِهِ

وَأَضْحَى جَنَاحِي الْيَوْمَ لَيْسَ بِذِي نَهْضِ

ثم يأخذ طرفة بعد هذه البداية الدالة على نفس كئيبة في الفخر بخصاله الذاتية من حيث الجَلَدُ وحُسْن الخُلة والقسوة على الحقود ذي الضغن،

(١) - د/ يحيى الجبوري : الشعر الجاهلي : خصائصه وفنونه - ط٩/ ٢٠٠١م - مؤسسة الرسالة - بيروت - ص ٣٠٠.

(٢) - ديوان طرفة بن العبد شرح الأعلم الشنتمري - تحقيق درية الخطيب ، لطفي الصقال - الهامش - ط٢/ ٢٠٠٠م - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ودائرة الثقافة والفنون بالبحرين ص ١٦٦.

(٣) - السابق : الصفحة نفسها.

وغِنى النفس والكرم والحِلْم والنجدة والعفة وحماية العرض والكرم وحُسْن الخليقة والشجاعة والبعد عن التلوُّن، كل هذه الخصال الحميدة التي يفخر بها تستغرق منه قرابة العشرين بيتًا، يعود بعدها ليخاطب خولة بقوله:

إِذَا مِتُّ فَابْكِينِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ

وَحَضِّي عَلَى الْبَاكِيَاتِ مَدَى الْحَضِّ

وَلاَ تَعْدِلِينِي إِنْ هَلَكْتُ بِعَاجِزٍ

مِنَ النَّاسِ مَنْقُوضِ الْمَرِيرَةِ وَالنَّقْضِ

ويبدو له أنه لم يجذب انتباه خولة بالقدر الكافي من خلال هذين البيتين اللذين يخاطبها فيهما بعدما أدار الأبيات العشرين السابقة حول نفسه ومآثرها، فأخذ يزيد في نشاطه اللغوي، ويعدل عن هذه الأساليب التقريرية بخفة حدتها وخطابها الاستعطافي، وقد وجد منها فتورًا لتقبل كل ما افتخر به فيما سبق، فيفيء إلى أسلوب القسم؛ ليعيد كَرَّة الفخر من جديد، فيقول:

حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ إِلَى مِنًى

يُبَارِينَ أَيَّامَ الْمَشَاعِرِ وَالنَّهْضِ

لَئِـنْ هِبْـــتُ أَقْوَامًـا بَدَتْ لِي ذُنُوبُهُـمْ

مَخَافَةَ رَحْبِ الصَّدْرِ ذِي جَدَلٍ عَـضِّ

لَقَـدْ طَـالَمَـا هَـــزُّوا قَنَاتِي وَأَجْـلَبُـوا

عَـلَيَّ فَمَـا لاَنَتْ قَنَاتِي عَنِ الْعَـضِّ

فقد استخدم أسلوب القسم بجملته المشعرة بقداسة الرحلة إلى مِنًى حيث مشاعر الحج والمسابقة إليها بهذه الوسيلة المقدسة عند العرب وهي الإبل المسرعة مرتفعة ومنخفضة في مشيها، كل ذلك يجعله في صدر جملة القسم، حتى إذا ما وصل إلى جملة الجواب التي يريد أن يثبتها للمتلقية، يأتي بأداتين من أدوات التوكيد فضلا عن دلالة القسم نفسه على التوكيد؛ ليوجهها نحو تصديقه والقناعة بما يكيده له أعداؤه حتى في هذه اللحظة التي ينتظر فيها مصيره، كل ذلك لم يفتّ في عضده ولم يُضعف قناته أو يُلينها.

وإذا كانت جملة القسم قد توسطت القصيدة عند طرفة مجددة نشاط المتلقية لتقبل رسالته بكل ما تحمل من نبرة عالية لأسلوب القسم بجملتيه، فإننا نجد القسم عند عمرو بن كلثوم يتصدر مقطعته الفخرية القصيرة التي يقول فيها [طويل] [(١)] :

(١)- ديوان عمرو بن كلثوم – تحقيق وشرح د/ إميل بديع يعقوب - ط٢/ ١٩٩٦م – دار الكتاب العربي – بيروت ص ٦٢ .

حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَـــــاتِ عَشِيَّةً

إِذَا مَخْرَمٌ خَلَّفْتُهُ لاَحَ مَخْرَمُ

يَقُـومُ وَرَائِي نَاشِدٌ لِي بِغَـــــدْرَةٍ

طَوَالَ اللَّيَالِي أَوْ تَزُولَ يَلَمْلَمُ

وَلَسْتُ بِمِفْـــرَاحٍ لِمَالٍ أُفِيـــــدُهُ

وَلَسْتُ عَـــلَى مَا فَاتَنِي أَتَنَدَّمُ

واستدعاؤه القسم برب الإبل الراقصات إنما هو تأكيد على علوّ نبرة الفخر وخصوصيتها عنده، هذا الفخر المرتبط بقوة القبيلة وشجاعة أبنائها التي يحسب لها الناس حسابها، ولم لا ؟! وهو القائل [وافر] (١) :

إِذَا بَلَغَ الْفِطَـامَ لَنَـا وَلِيـدٌ تَخِرُّ لَهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَـا

وإذا كان شرف القسم مرتبطًا بشرف المقسَم به، فإننا نجده في جملة جواب القَسَم قد أتى بالجملة الشرطية الدالة على حتمية الاقتران بين الشرط والجزاء في ديمومة لا تنقطع، إذ يفخر بكثرة السفر، أو صعود الجبال العالية، فهو كلما ترك أنف جبل ـ مخْرِم ـ ظهر له آخر، فيقطعه، أو يتركه خلفه في شجاعة تشير إلى عدم الهيبة، وربما أراد بالمخرم هنا

(١) - السابق ص ٩١ .

الكاذب أو المفسد الذي ينشد له الغدر على الديمومة والاستمرار الذي يستدعيه طوال الليالي، أو زوال يلملم وهو ميقات أهل اليمن مما يعني كونه عرضة للمفسدين الذين لا يأبه لإفسادهم.

٣ـ الرثاء :

وإذا كان المدح دالاً على الحياة ؛ لأنه في دلالته العامة استدعاءٌ للأوصاف المحمودة عند الممدوح حال حياته، فإن الرثاء يأخذ هذه الدلالة العامة مع اقترانها بالموت؛ لأنه لا يكون رثاءٌ إلا بعد موت المرثي، وقد قال قدامة بن جعفر: " إنه ليس بين المرثية والمدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على أنه لهالك، مثل كان و تولى و قضى نحبه، وما أشبه ذلك، وهذا ليس يزيد في المعنى ولا ينقص منه ؛ لأن تأبين الميت، إنما هو بمثل ما كان يُمدح به في حياته " [(١)] هذا إذا استثنينا الشعراء الذين يقومون برثاء أنفسهم حال حياتهم من مثل عبد يغوث بن الحارث الوقاصي ومالك بن الريب وأمثالهما، بيد أن هؤلاء الشعراء قد قاموا برثاء أنفسهم عندما أيقنوا أن الموت مصيبهم لا محالة، ومن ثمة لا مجال لاستثناء هؤلاء الشعراء من شرط موت المرثي حتى يكون ما يُقال رثاءً.

وفي سياق درسنا وجدنا الشاعر متمم بن نويرة الذي وقف جلّ شعره في رثاء أخيه مالك بن نويرة الذي قتله خالد بن الوليد في حروب الردة، واتخذ مقتله أبعادًا دينية وسياسية واجتماعية كانت قد فتحتْ بابًا واسعًا

(١) – قدامة بن جعفر : نقد الشعر – سابق – ص١٠٠.

لتأولات متعددة ومتباينة يُجلّيها قول ابن سلام: " وكان قَتَله خالد بن الوليد بن المغيرة حين وجهه أبو بكر رضي الله عنه إلى أهل الرِّدَّة، فمن الحديث ما جاء على وجهه، ومنه ما ذهب معناه علينا؛ للاختلاف فيه، وحديث مالكٍ مما اختُلِفَ فيه فلم نقف منه على ما نريد، وقد سمعت فيه أقاويل شتى، غير أن الذي استقر عندنا أن عمر أنكر قتله، وقام على خالد فيه، وأغلظ له وأن أبا بكر صفح عن خالد وقَبِلَ تأوُّلَهُ " [(١)] وربما كان ذلك من أسباب ديمومة وجد متمم على أخيه مالك، وإحساسه بأن مقتله كان ظلمًا، على أن ما يعنينا هنا أنه بكى أخاه مالكًا بمراثي متعددة منها لاميته التي يقول منها [طويل] [(٢)]:

حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ عَشِيَّةً

وَحَيْثُ تُنَاخُ الْبَدْنُ دَافَعَهَا الْعَقْلُ

لَئِنْ فَاتَنِي رَيْبُ الزَّمَانِ بِمَالِكٍ

وَقَدْ كَمُلَتْ فِيهِ الْمُرُوءَةُ وَالْعَقْلُ

ففَاتَ وَلَوْ قِيلَ الْفِدَاءُ فَدَيْتُهُ

وَمَا عَزَّ مَالٌ عَنْ فِدَاهُ وَلاَ أَهْلُ

(١) - محمد ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء – قرأه وشرحه محمود محمد شاكر - مطبعة المدني – القاهرة ١٩٧٤م - ١/ ٢٠٤ .

(٢)- ابتسام مرهون الصفار : مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي– مطبعة الإرشاد – بغداد ١٩٦٨م - ص ١٢٩.

قلنا من قبل: إن شرف القسم يستدعي شرف المقسَم عليه وعِظَمه فضلاً عن قيمته لدى المُقْسِم الذي يبدو أن مقتل أخيه قد أقضّ مضجعه؛ إذ كان بالنسبة إليه حدثًا جللاً، ومن ثمة رأيناه يفرد مساحة البيت الأول كلها لجملة القسم التي يستدعي بها مناسك الحج، ثم يُصدِّر جملة الجواب باللام الموطئة للقسم الداخلة على إنْ الشرطية للدلالة على أن الجواب بعدها مبني على القسم وليس على الشرط الدالِّ على مصابه بفقد مالك صاحب كمال المروءة والعقل، لينتقل الشاعر إلى جملة الجواب المصدرة بالشرط الامتناعي لو وكأنه لا يريد أن يتقبل فكرة موت أخيه الذي لا يتردد بفدائه إن قيل الفداء بالمال والأهل، ثم يأخذ الشاعر في تعداد الخلال الحسنة التي كان مالك أخوه يتمتع بها من مثل الكرم والنجدة ومساعدة الفقراء والمحتاجين والغارمين، والحياء والعفة والحِلم وقوة الشكيمة خاصة مع الأعداء، مشيرًا إلى أن موت أخيه إنما هو موت لتلكم الخلال الكريمة.

٤ـ الهجاء :

إذا كان المدح والفخر مرتبطين بالإشادة بالخصال الحسنة والفضائل الطيبة المتعلقة بالذات الشاعرة أو بالآخر، وإذا كان الرثاء مرتبطًا بتعداد الفضائل والخصال الطيبة للميت، فإن " الهجاء ضد المديح، فكلما كثرتْ أضداد المديح في الشعر كان أهجى له "[(١)] وهذا ما يشير إلى ارتباط الهجاء بالذم والشكوى، وليس بالحمد والرضا ففي المعاجم

(١)- قدامة بن جعفر : نقد الشعر ـ سابق ـ ص ٩٢ .

اللغوية يُقال: " فلانة تهجو صحبة زوجها أيْ: تذمه وتشكو من صحبته "[١] ومن ثمة فإنه مرتبط بتعداد المساوئ والمعايب والرذائل؛ لأنه "يسلب الصفات المستحسنة التي تختصها النفس، ويثبت الصفات المستهجنة التي تختصها أيضًا "[٢].

والهجاء يحتل مكانة بارزة بين فنون الشعر العربي، وهي المكانة التي ربما دفعت البعض إلى ربط نشأته بالسحر، فإنه " قبل أن ينحدر الهجاء إلى شعر السخرية والاستهزاء، كان في يد الشاعر سحرًا يقصد به تعطيل قوى الخصم بتأثير سحريٍّ، ومن ثم كان الشاعر إذا تهيأ لإطلاق مثل ذلك اللعن يلبس زيًّا خاصًّا شبيهًا بزيِّ الكاهن "[٣] بيد أن الأمر لا يقف عند هذا الأمر من ربط الهجاء بالسحر أو بالدين؛ لأنه مرتبط بعاطفة الشاعر التي ينتابها الشعور بالحب والإعزاز كما ينتابها الشعور بالكره والازدراء للأفراد والجماعات والمذاهب والانتماءات وغيرها، ولذلك فإنه قلما نجد شاعرًا إلا وكان له شعر يهجو به غيره، ومن ثمة فإن " الهجاء أدب غنائيٌّ يصور عاطفة الغضب والاحتقار والاستهزاء، وسواء

(١) - الأزهري : تهذيب اللغة – تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ومحمود فرج العقدة - الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٤م - ٦/ ٣٤٨ .

(٢) - العسكري : كتاب الصناعتين – تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم– ط٢/ ١٩٧١- دار الفكر العربي – القاهرة - ص ١١٠.

(٣)- كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي – ترجمة د/ عبد الحليم النجار - ط٥/ ١٩٨٣م - دار المعارف - القاهرة - ١/ ٤٦ .

في ذلك أن يكون موضوع العاطفة هو الفرد أو الجماعة أو الأخلاق والمذاهب " [١] وبذلك يكون فن الهجاء أكثر فنون الشعر ارتباطًا بالحياة.

وإذا كان الشعراء يُقسمون بهذه الجملة القسمية حلفت برب الراقصات إلى منى في سياقات تتواءم ونبلها بحيث تبعد عن الذم والعيب والنقائص، فإننا في شعر الهجاء قد وجدنا الأعشى يوظفها في سياق ميميته التي يهجو بها " عُمَيْر بن عبد الله بن المنذر بن عبدان حين جمع بينه وبين جهنام ليهاجيه " [٢] وعدتها اثنان وستون بيتًا افتتحها بالغزل في أربعة أبيات، ثم انتقل بعده إلى وصف الناقة في عشرين بيتًا يخلص بعدها للهجاء بآلية التخلص الشهيرة عند القدماء وهي دع ذا، فيقول الأعشى [طويل] [٣] :

فَدَعْ ذَا وَلَكِنْ مَا تَرَى رَأْيَ كَاشِحٍ

يَرَى بَيْنَنَا مِنْ جَهْلِهِ دَقَّ مَنْشِمِ

(١) - د/ محمد محمد حسين : الهجاء والهجاءون في الجاهلية - مكتبة الآداب– القاهرة – ١٩٤٧م - ص ١٢.

(٢) - الأعشى : ديوانه – شرح وتعليق د/ محمد محمد حسين - مكتبة الآداب – القاهرة ١٩٥٠م - ص ١١٩.

(٣)- السابق الصفحة نفسها.

ويبدأ بهذا البيت في هجاء عُمير من خلال استدعاء نقائص الحمق والحقد والخسة المناقضة للنبل، ثم يستدعي لهجائه كذلك الغدر والخيانة، ثم يأخذ في تهديده ووعيده فيقول [١] :

وكُنْتُ إِذَا نَفْسُ الْغَوِيِّ نَوَتْ بِهِ
صَقَعْتُ عَلَى الْعِرْنِينِ مِنْهُ بِمِيسَمِ

حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ إِلَى مِنًى
إِذَا مَخْرَمٌ جَاوَزْنَهُ بَعْدَ مَخْرَمِ

ضَوَامِرَ خُوصًا قَدْ أَضَرَّ بِهَا السُّرَى
وَطَابَقْنَ مَشْيًا فِي السَّرِيحِ الْمُخَدَّمِ

لَئِنْ كُنْتَ فِي جُبٍّ ثَمَانِينَ قَامَةً
وَرُقِّيتَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ

لَيَسْتَدْرِجَنَّكَ الْقَوْلُ حَتَّى تَهِرَّهُ
وَتَعْلَمَ أَنِّي عَنْكَ لَسْتُ بِمُلْجَمِ

وَتَشْرِقَ بِالْقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَذَعْتَهُ
كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِ

(١) - السابق ص ١٢٣ .

يستوقفنا البيت الأول من هذه الأبيات الوعيدية أمام نبرة الفخر والاستعلاء التي لا يغض من جهريتها تأخر ضمائر الذات المتكلمة مقارنة بالآخر المخاطب إذا أضفنا إليه ضمائر الغياب التي تؤول إليه في نهاية الأمر، في: الغوي – به – منه ؛ لأنه يريد أن يبرز ما ينتوي فعله بهذا المخاطَب الذي سوف يناله التهديد والوعيد وحده، ومن ثمة أعطاه هذه المساحة الحضورية التي يبدؤها بضمائر الغياب السابقة التي تؤول إليه إمعانًا في احتقاره واستنكاره بوصفه بالغوي الذي يضربه الشاعر في أنفه إذلالاً واستحقارًا، ثم يفيءُ الشاعر المتوعد إلى أسلوب القسم موظفًا جملته الدالة على الإصرار على تنفيذ الوعيد والتهديد الذي يُقسم عليه ويوطئ له باللام الموطئة الداخلة على إنْ الشرطية بدلالتها على أن الجواب بعدها مبني على القَسم وليس الشرط، فلن يمنعه أن يغوص في الأرض لثمانين قامة أو أن يرقى في السماء من أن يخدعه قوله الذي قاله، حتى يكرهه ويعلم أن الشاعر ليس بمحبوس عنه أو ممنوع من الوصول إليه، وحتى يغص بذلك القول الذي أذاعه كما يغصُّ مقدم الرمح بالدم ؟

ومما يلحظ على سياق القسم هنا في موقف الهجاء أن الشاعر ربما كان على وعي بقدسية القسم وشعائر الحج، ومن ثمة لم يشأ أن يأتي به في سياق الشتم والسبِّ المقذع الذي يستدعيه الهجاء، وإنما أتى به في سياق التهديد والوعيد وهو أقل وطأة من الهجاء الذي جاء في سياقه هذا التهديد وذاك الوعيد الذي ربما كان أشد وقعًا على المهجوِّ من إقذاعه بالهجاء اللاذع من خلال السب والشتم اللذين لم تخل منهما القصيدة، وذلك على النحو الذي مرّ .

كما نلحظ على أسلوب القسم في بيت الأعشى أنه يتناص فيه مع بيت عمرو بن كلثوم الذي عرضنا له في سياق الفخر، وهو تناص لفظي دلالي في آنٍ معًا؛ إذ لا نجد اختلافات لفظية إلا في استخدام عمرو لفظة عشية في نهاية صدر البيت بينما استخدم الأعشى كلمة منى، وفي حين قال عمرو في العجز : إِذَا مَخْرَمٌ خَلَّفْتُهُ لاَحَ مَخْرَمُ قال الأعشى في عجز بيته: إِذَا مَخْـــرَمٌ جَاوَزْتَـهُ بَعْـــدَ مَخْـــرَمِ، والفرق بين العجزين أن عمرو بن كلثوم أدار الدلالة حول ذاته وهو ما يتناسب وغريزة الفخر المشهورة لديه، في حين جعل الأعشى الحديث حول الراقصات التي كانت تتجاوز الجبل بعد الجبل حتى أصابها التعب والإعياء، ومع ذلك فإن لديها إصرارًا على تجاوز الجبال، وهو إصرار يشبهه إصرار الشاعر الحالف على أن يصيب مهجوه ما أقسم عليه حتى وإن غاص في الأرض أو رقى في السماء.

٥ـ الاعتذار :

الاعتذار والاستعطاف من فنون الشعر عند العرب، ولعلها أَدْخلُ في سياق المدح من غيرهما من الفنون؛ " لأنهما في معناه، فالشاكر مُثْنٍ والمعتذر والمستعطف راغب، وكلاهما في المعنى راجٍ ومادحٌ " [(١)] وقد ارتبط الاعتذار بالشاعر الجاهلي النابغة الذبياني ؛ فقد كان " مجيدًا في الاعتذار حتى قيل إنه أشعر الناس إذا رهب " [(٢)] وقصته معروفة مع الملك النعمان بن المنذر بعد أن وشى به الواشون حول علاقته بالمتجردة

(١) - ابن حمدون : التذكرة الحمدونية – تحقيق د/ إحسان عباس وبكر عباس– ط١/ ١٩٩٦م – دار صادر – بيروت - ٤/ ٨ .

(٢)- السابق ٨/ ١٠٤.

زوجة النعمان ووعيد هذا الأخير بالشاعر الـذي هـرب خوفًـا مـن بطشـه وانتقامه، رغم محبته إياه التي ظل عليها حتى وفاة النعمـان، ومـن هـذه الاعتذاريات قول النابغة [وافر] (١) :

حَلَفْتُ بِمَـا تُسَـــاقُ لَهُ الْهَدَايَـــا

عَلَى التَّأْوِيبِ يَعْصِمُهَـــا الدَّرِينُ

وَرَبِّ الرَّاقِصَـــاتِ بِكُـــلِّ سَهْـــبٍ

بِشُعْثِ الْقَوْمِ مَوْعِدُهَـــا الْحُجُونُ

لَـــوِ اخْتَانَتْـكَ مِنِّي ذَاتُ خَـــمْسٍ

يَمِينِي لَـــمْ تُصَـــاحِبْنِي الْيَمِيـــنُ

في البدء نلحظ على القَسَم هنا أن الشاعر قد أتى به في بيتين، ثم أتـى بجملة الجواب في البيت الثالث ، ولعله بتوسعته مساحة القَسَم هنا، إنما ليطيل زمن الخطاب القسمي تدليلاً على صدق اعتذاره، كمـا نلحـظ أنـه أتى بالفعل المفتاح حلفت في صدر البيت الأول، وربطه بالبيـت العتيـق الذي تُساق له الهدايا، ثم عطف عليه في صدر البيت الثاني القَسَـم بـرب الراقصات وهما يمثلان المفتاحين الثاني والثالث من مفاتيحنـا الدلاليـة، وتنوع ملحقات القَسَم بين البيت العتيق والهدايا ورب الراقصات استدعاء

(١) - النابغة الذبياني : ديوانه – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - ط٢/ ١٩٨٥م – دار المعارف – القاهرة ص ٢٢٢.

لصدق المشاعر والمناسك، ومن ثمة صدق المقسَم عليه المصدَّر بدالة الشرط الامتناعي لو إمعانًا في انتفاء قطع يمينه أو عدم مصاحبتها إياه؛ لانتفاء أن تخونه هذه اليد، مما يعني أنه لم يكن ليخون النعمان، وإذا كان الشرط الامتناعي هنا دالاً في بنيته السطحية على امتناع الجواب لامتناع الشرط، فإن بنيته العميقة تستدعي ارتباط قطع اليد بخيانتها للملك النعمان ابن المنذر.

٦ـ الغزل :

نالت المرأة المكانة البارزة في الخطاب الثقافي الميثوديني عند العرب فيما قبل الإسلام حتى صارت من المعبودات العربية القديمة التي جاء الشعر العربي القديم ليخلدها في أكثر من صورة لعل أبرزها تشبيهها بالشمس والغزالة وهما من المعبودات العربية القديمة [١] وكان من بين مظاهر هذه المكانة التي حظيتْ به المرأة شيوع غرض الغزل وإظهار عاطفة الحب نحوها في الشعر العربي، وقد تبارى الشعراء في إظهار هذه العاطفة أو التدليل عليها، وكان منهم مَن استخدم أسلوب القسم كآلية حجاجية تكشف عن صدق العاطفة، فهذا حميد بن ثور الهلالي، يعبر عن وجده بمحبوبته جُمْل بقوله [طويل] [٢] :

(١)- د/علي البطل : الصورة الفنية في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري -- ط٢/ ١٩٨١م – دار حراء للنشر والتوزيع- ص ٤٩ وما بعدها .

(٢)- حميد بن ثور الهلالي : ديوانه – جمع وتحقيق د/ محمد شفيق البيطار - ط١/ ٢٠٠٢م – المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب – الكويت - ص ١٨٧.

حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ إِلَى مِنىً

زَفِيفًا وَرَبِّ الْوَاقِفِينَ عَلَى الْحَبْلِ

لَــوَ انَّ لِيَ الدُّنْيَا وَمَـا عُدِلَتْ بِــهِ

وَجُمْلٌ لِغَيْرِي مَا أَرَدْتُ سِوَى جُمْلِ

لقد استوقفتنا من قبل دالة الحلف المنتجة لدلالة الملازمة بين طرفي القسم الذي صدّر الشاعر به قصيدته وكأنه يريد منذ اللحظة الأولى لخطابه الشعري أن يتسم بشيء من القداسة المحوطة بالمقسم به وما ارتبط به من أماكن تمثل فضاءً شعريا اتخذ من قداسة المقسم به قدسية ليس عند الشاعر وحده، وإنما عند كل مَنْ يتوجه إليه بالخطاب؛ إذ يبدو أنه واجه تشكيكًا في حبه للمرأة المدعوة بـ " جمل " ومن ثمة وجدناه يضرب على هذا الوتر الحساس لدى متلقيه باستدعاء المقدس المشترك بين الجميع وهو الحج، واتخاذه جملة قسم تمثل آلية حجاجية ناجعة تقف المتلقي أمام اختيار واحد هو قبول صدق الشاعر فيما يقسم عليه.

ويستوقفنا هنا كذلك تكرر المقسم به وتوحد فعل القسم ، وكأنه يُقسم مرتين وليس مرة واحدة إمعانًا في تأكيد جواب القسم الذي صدره " بصيغة الشرط التي يترابط فيها الفعل بالجواب على نحو إلزامي قاطع، ففعل الجواب يسير في اتجاه حركة الدلالة نفسها التي يسير فيها فعل الشرط، وبهذا التركيب المحكم الدلالة لا مجال لأي حديث أو صوت

آخر، لقد سُدّت جميع الثغرات ، فالدنيا كلها ومثلها معها لا تساوي في نظر الشاعر شيئًا إذا كانت جمل لغيره " [١].

وفي هذا السياق نجد الشاعر الغزلي جميل بن معمر يستدعي أسلوب القسم عينه في واحدة من قصائده التي يبث فيها وجده لبثينة، فيقول [طويل] [٢] :

حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ إِلَى مِنًى

هُوِيَّ الْقَطَا يَجْتَزْنَ بَطْنَ كُلِّ دَفِينِ

لَقَدْ ظَنَّ هَذَا الْقَلْبُ أَنْ لَيْسَ لاَقِيًا

سُلَيْمَى وَلاَ أُمَّ الْجُسَيْرِ لِحِينِ

وأول ما يلفت المتلقي من هذين البيتين أنهما قد جاءا قُبيل نهاية القصيدة بثلاثة أبيات مما يعني أن الشاعر قد أخلى المساحة الشعرية السابقة عليهما لحديث قد يكون له صلة بهذين البيتين، وإلا لما أتى بهما في هذا الموضع المتأخر من القصيدة، وثاني ما يلفتنا من السياق الخارجي لهذه الأبيات ما تقوم به المصاحبات السردية من كشف لطبيعة الموقف الذي قيلت فيه، فصاحب الأغاني يذكر أنه لما شاع أمر حب

(١)- د/ محمد عبد الباسط عيد : في حجاج النص الشعري - ط١/ ٢٠١٣م – أفريقيا الشرق – المغرب - ص ٦٧.

(٢) - جميل بثينة : ديوانه – جمع وتحقيق وشرح د/ إميل بديع يعقوب– ط١/ ١٩٩٢م – دار الكتاب العربي – بيروت - ص ٢٠٧- ٢٠٨ .

جميل لبثينة، حلفت بالله لا يأتيها بخلاء إلا خرجت له، فكان يأتيها عند غفلة الرجال الغُيُر على العرض، يحادثها وتحادثه ، فآلم ذلك أهلها الذين رصدوا له رجالهم إذا ما أتى إليها، وكادوا يمسكون به لولا ناقته الصهباء وسرعتها [١].

ومن ثمة كانت القصيدة، وكان هذان البيتان اللذان وظف فيهما أسلوب القسم بكل ما يستدعيه من القدسية والتعظيم ليدل به على حقيقة حاله، فليس لمن يترصده أمثال هؤلاء الناس الموتورين به إلا أن يظن الظن كله أنه لن يلقى محبوبته ولا أختها أم الجسير لمثل هذا الحين الذي يترصده فيه أهلها، ولذلك وجدنا الشاعر هنا ـ على غير السابقين ـ يقتصد في أمر القسم؛ إذ أتى بجملة القسم في المصراع الأول، وقصر المصراع الثاني على وصف حال الإبل الراقصات، ثم قصر البيت الثاني على جملة الجواب، وهذا الاقتصاد في الأسلوب يتساوق وما أبدته المصاحبات السردية من حرج موقف الشاعر، وسرعة هربه من أهل بثينة.

وإذا كان جميل قد اقتصد ـ لطبيعة الموقف ـ في جملة القسم والجواب ، فإن راويته كُثَيِّر قد أطال في جملة القسم، وأفسح لها المساحة الشعرية لتدور على سبعة أبيات فقال [طويل] [٢]:

---

(١) - أبو الفرج الأصفهاني : كتاب الأغاني - دار الثقافة – بيروت ١٩٥٧م - ٨/٩٩ .

(٢) - كُثَير عزة : ديوانه – جمع وشرح د/ إحسان عباس - دار الثقافة – بيروت ١٩٧١م - ص ١١٠- ١١١، الملا: الفضاء، جديل: زمام مجدول، وفاقاً: متوافقة في سيرها، الإهلال: الذكر والدعاء، تواهقن في السير: تتبارى وتتنافس، الخبت: المطمئن من الأرض، نقيل: طريق، مذعان: خاضعة ذليلة، معيدة: عاودت السفر، المخشية: التي يشك في قدرتها على السفر مرة أخرى، شوامذ: رافعات الأذناب، أرتجن: أغلقن أرحامهن، حُول: جمع حائل وهي التي لا تلقح من الإبل، الألية: اليمين، الرسيل: الرسول والرسالة.

حَـــلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَـاتِ إِلَى مِنًى

خِـــلاَلَ الْمَـــلاَ يَمْـدُدْنَ كُلَّ جَدِيـلِ

تَرَاهَـــا وفَـاقًـــا بَيْنَهُـنَّ تَفَـــاوُتٌ

وَيَمْـــدُدْنَ بِالإِهْـلاَلِ كُلَّ أَصِيـــلِ

تَوَاهَقْنَ بَالْحُجَّـاجِ مِنْ بَطْـنِ نَخْلَةٍ

وَمِنْ عَـــزْوَرٍ وَالْخَبْتِ خَبْتِ طَفِيـلِ

بِكُـــلِّ حَـــرَامٍ خَـاشِـــعٍ مُتَـوَجِّـهٍ

إِلَى اللهِ يَـــدْعُـوهُ بِكُـلِّ نَقِيـــلِ

عَـــلَى كُـلِّ مِذْعَـــانِ الـرَّوَاحِ مُعِيـدَةٍ

وَمَـخْشِيَّـةٍ أَلاَّ تُـعِيـــدَ هَـزِيـلِ

شَـوَامِـذَ قَـدْ أَرْتَجْـنَ دُونَ أَجِنَّـــةٍ

وَهُـوجٍ تَبَارَى فِي الأَزِمَّـــةِ حُـولِ

يَمِـــينَ امْـــرِئٍ مُسْتَغْلِـظٍ بِأَلِيَّـــةٍ

لِيُكْذِبَ قِيـلاً قَـدْ أَلَـــحَّ بِقِيـلِ

لَقَدْ كَذِبَ الْوَاشُونَ مَا بُحْتُ عِنْدَهُمْ

بِلَيْلَى وَلاَ أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسِيلِ

ولم يكن اتساع المساحة الشعرية التي يشغلها أسلوب القسم ليأتي دون مهادٍ يوطيء بها الشاعر لقَسَمه، ولم تكن هذه المهاد سوى ما شعر به الشاعر من جفوة من المحبوبة، تلك الجفوة التي دعت الناصحين إلى سؤالها عن علة الجفوة، ويبدو أنه قد أدرك العلة وهي هؤلاء الوشاة الذين أوقعوا بينهما، ومن ثمة كان هذا القسم الذي استدعى فيه الشاعر الإبل الراقصات وقد توافقت في سيرها وتنافست حاملة الحجاج ما بين مُحْرِمٍ وخاشعٍ يدعو الله بكل طريق ، وبعض هذه الإبل قد رفعت أذيالها وأغلقت أرحامها فلا تلقح من الإبل؛ فقد أصابها التعب وأرهقها الحمل مما شكك الركب في قدرتها على معاودة السير.

إن كل هذه المعاني المرتبطة بالحج ومناسكه، والناقة وأحوالها في سيرها، والحجاج وأحوالهم ودعائهم وهم في طريق الحجّ، أقول: قد كان الشاعر في غناء عن سردها، خاصة أنه قد جاء في البيت السابع من هذه الأبيات بكلمة يمين المرتبطة دلاليًّا بالحَلِف في البيت الأول ، جاء بها تأكيدًا لحلفه الذي يُلحُّ عليه رغبة في رد قيل القائل أو الواشي به عندها، ثم يأتي بجملة الجواب مصدرة بدالتَيْ التأكيد اللام، قد "لقد " مع الفعل الماضي الدال على انتهاء الحدث المؤكَّد حدوثه وهو كذب

هؤلاء الواشين فيما رموه به، بل إنه لم يبح أمامهم بالمحبوبة، ولم يحملهم أية رسالة إليها، ومن ثمة يطلب إليها [١]:

فَإِنْ جَاءَكِ الْوَاشُونَ عَنِّي بِكِذْبَةٍ

فَرَوْهَا وَلَمْ يَأْتُوا لَهَا بِحَوِيلِ

فَلاَ تَعْجَلِي يَا لَيْلَ أَنْ تَتَفَهَّمِي

بِنُصْحٍ أَتَى الْوَاشُونَ أَمْ بِحُبُولِ

ولا شك أن مساحة القسم الواسعة وما استدعته من مناسك الحج حيث الأجواء الإيمانية التي تنتفي فيها آفات الكذب والوشاية كانت حجة على صدقه ، ثم كان هذان البيتان الأخيران برهانًا على هذا الصدق عندما يرجوها ألا تتعجل في تقبل كذب الواشين الذين لم يأتوا بشاهد ـ حويل ـ على صدقهم، وتتثبت من مجيئهم هل بالنصح جاءوا أم بغيره ؟

وإذا كان كُثَيِّر قد أقسم على كذب الواشين ، فإن ابن ميادة واسمه الرماح بن أبرد بن ثوبان يستخدم أسلوب القسم نفسه، ولكن ليؤكد على زمان حبه للصاردية فيقول [طويل] [٢]:

(١)- ديوان كثير عزة ص ١١١.

(٢)- ابن ميادة : ديوانه – جمع وتحقيق د/ حنا جميل حداد– مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٢م - ص ١٤٩- ١٥٠.

حَـلَفْـتُ بِـرَبِّ الرَّاقِصـَاتِ إِلَـى مِـنًـى

زَفِـيـفَ الْقَـطَا يَقْطَعْنَ بَطْـنَ هَبِيـرِ

لَـقَـدْ كَـانَ حُـبُّ الصَّـارِدِيَّـةِ بَـعْـدَمَـا

عَـلاَ فِي سَـوَادِ الـرَّأْسِ نَبْذُ قَتِيرِ

فهو بهذا القسم يريد التأكيد على أن حبه لهذه المرأة المنسوبة إلى بني صارد وهم حيٌّ من غطفان قد كان بعد أن ظهر القليل من الشيب ـ نبذ قتير ـ في سواد شَعره.

٧ـ الندم :

جاء في لسان العرب "نَدِمَ على الشيء، ونَدِمَ على ما فعل نَدَمًا ونَدَامةً، وتَنَدَّم : أَسِفَ ورجلٌ نادِمٌ سَادِمٌ، ونَدْمانُ سَدْمَانُ، أيْ نادِمٌ مُهْتَمٌّ، وفي الحديث: النَدم: توبة" [(١)] ولم نجد هذه الدلالة في الشعر العربي في سياق أسلوب القسم: حلفت برب الراقصات إلا مرة واحدة في شعر كُثَيِّر من مقطوعة يمدح فيها عبد العزيز بن مروان والد عمر بن عبد العزيز، وقد تكفلت المصاحبات السردية بتبيان سياق المقطوعة، فقد قال الجاحظ [ت ٢٥٥هـ]: " ومن الحَمْقَى كُثَيِّر عزَّة، ومن حُمْقِهِ أنه دخل على عبد العزيز بن مروان، فمدحه بمديح استجاده، فقال له: سَلْنِي حوائجَكَ. قال: تجعلني مكان ابن رُمَّانة. قال: ويلك، ذاك رجلٌ

(١) – ابن منظور : لسان العرب ـ سابق ـ ١٢/ ٥٧٢– مادة ندم .

كاتبٌ، وأنت شاعرٌ ! فلما خرج ولم ينل شيئًا " [(١)] ثم ذكر الجاحظ بيتين من هذه المقطعة التي نحن بصددها.

وفي إطار هذه المصاحبات السردية نجد ابن السِّيد البطليوسي [ت ٥٢١ هـ] يذكر الخبر الذي رواه الجاحظ، وأضاف إليه استحماق عبد العزيز بن مروان لكُثَيِّر، ثم أضاف ابن السيد رواية أخرى هي: " وقيل: بل عرَّض له أن يهب له جارية، ويدع التغزل بعزة، فأبى من ذلك ، ثم ندِم على ما فعل، ثم قال شعره الذي يقول فيه " [طويل] [(٢)]:

إِذَا ابْتَدَرَ النَّاسُ الْمَكَارِمَ بَذَّهُمْ

عَرَاضَةُ أَخْلاَقِ ابْنِ لَيْلَى وَطُولُهَا

وَإِنَّ ابْنَ لَيْلَى فَـاهَ لِي بِمَقَـالَـةٍ

وَلَوْ سِرْتُ فِيهَا كُنْتُ مِمَّنْ يُنِيلُهَا

(١) - الجاحظ : البيان والتبيين – تحقيق وشرح عبد السلام هارون– ط٧/ ١٩٩٨م – الخانجي– ٢/ ٢٤١.

(٢)- ابن السيد البطليوسي : شرح أبيات الجمل – دراسة وتحقيق عبد الله الناصير - ط١/ ٢٠٠٠م – دار علاء الدين – دمشق – سوريا – ص ١٩٢والأبيات في ديوان كُثَيِّر ـ سابق ـ ص ٣٠٤- ٣٠٥ ، بذّهم وبزهم : فاقهم – أَمِّي : قصدي – أروضها : أُذلِّلُها – الذلول : بفتح الذال : السهلة المنقادة – الرقص : ضربٌ من الخَبَبِ في العَدْوِ – تغول البلاد : تقطعها – نَصُّها وذَميلُها : ضربان من العَدْوِ .

عَجِبْتُ لِتَرْكِي خُطَّةَ الرُّشْدِ بَعْدَمَا
بَدَا لِيَ مِنْ عَبْـدِ الْـعَزِيزِ قُبُولُهَـا
وَأَمِّيَ صَعْبَـاتِ الأُمُـورِ أَرُوضُهَـا
وَقَدْ أَمْكَنَتْنِي يَوْمَ ذَاكَ ذَلُـولُهَـا
حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَـاتِ إِلَى مِنًى
يَغُـولُ الْبِـلاَدَ نَصُّهَـا وَذَمِيلُهَـا
لَئِنْ عَادَ لِي عَبْـدُ الْـعَزِيزِ بِمِثْلِهَـا
وَأَمْـكَنَنِي مِنْهَـا إِذًا لاَ أُقِيلُهَـا
فَهَـلْ أَنْتَ إِنْ رَاجَعْتُكَ الْقَوْلَ مَرَّةً
بِأَحْسَنَ مِنْهَـا عَـائِدٌ فَمُنِيلُهَـا

وذكر ابن أبي الفتح البعلي [ت ٧٠٩هـ] في شرحه جمل عبد القاهر قصة المساومة على ترك التغزل بعزة مقابل جارية يهبها له عبد العزيز بن مروان [١] أما صاحب خزانة الأدب ، فقد جمع بين روايتيْ الجاحظ

(١)- محمد بن أبي الفتح البعلي : الفاخر في شرح جمل عبد القاهر – تحقيق د/ ممدوح محمد خسارة - ط١/٢٠٠٢م – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت – السلسلة التراثية رقم ٢٤ -٢/٥٥٢

والبطليوسي والبعلي، وزاد عليهما في قول عبد العزيز: " اخْرجْ عني، فخرج كُثَيِّر نادمًا على ما حكم، ثم لم يزل يتلطف حتى دخل عليه "[(١)] وأنشده بقية المقطوعة التي يفتتحها بمديح عبد العزيز بن مروان، ويلوم نفسه متعجبًا من تركه ما خيره الأمير وحكمه فيه ثم يجيء إلى البيتين الخامس والسادس اللذين يمثلان جملة القسم وجوابه، مستخدمًا جملة حلفت برب الراقصات إلى مِنًى لفعل القَسَم، ثم يقنع منه بوصف سير الراقصات بين النَّصِّ والذميل تقطع بهما البلاد، ثم يجيء بجملة جواب القَسَمِ مصدرة باللام الموطِّئة للقسم الدال على ندم الشاعر ورغبته في أن يُعيد الأمير التحكيم مرة أخرى، فلا يرد له طلبه.

الخلاصة :

وفي ضياء ما سبق من بحث دلالات القسم من خلال الجملة السائرة: حلفتُ برب الراقصات نستطيع أن نتبين ما يلي:

وردت جملة القسم هذه عند شعراء الجاهلية وما بعد الإسلام، وورودها عند الجاهليين يدل على إيمانهم بشعيرة الحج التي أُثِرت عن نبي الله إبراهيم عليه السلام ، وتوارثها العرب جيلاً بعد جيل، إذ " كانت العرب في الجاهلية على مذاهب: فكان معظمهم ممن يدين اللهَ تعالى ذكره، ويتمسك بإرث ملة إبراهيم صلى الله عليه وسلم، ويحج ويتأله ويعظم الحَرَم والأشهُر الحُرُم، ويضع فيها أوزار الحرب، وإن ظفر بعدوه

(١)- عبد القادر البغدادي : خزانة الأدب ولُب لُباب لسان العرب – تحقيق وشرح عبد السلام هارون – ط٤/ ٢٠٠٠م – مكتبة الخانجي – القاهرة – ٤٧٧/٨.

لم يمسسه بسوء" [١] وعندما جاء الإسلام ، وغدت فريضة الحج ركنًا ركينًا من أركانه، وجدنا شعراء ما بعد الإسلام يستخدمونها في أشعارهم، وإن اتخذ استخدامهم لها خصوصية الإفاضة في ذكر الحجيج وأوضاعهم في سفرهم، ومناسك الحج ومشاعره كما وردت في الشريعة الإسلامية.

تنوعت الدلالات السياقية لجملة جواب القسم المرتبطة بجملة القسم وأداتها حلفت بين المدح والفخر والرثاء والهجاء والاعتذار والغزل، ثم الندم، وهي السياقات التي باتت مكونة الخصوصية لأسلوب القسم الخاص بهذا المركب الفعلي: حلفت برب الراقصات، وهو المركب الحامل لدلالات القدسية التي تتناسب وسياقات القسم بها، وتتناسب كذلك ودلالات المقسَم عليه أو جواب القسم باعتباره المحمول المراد إثباته أو توكيده من قِبَل الشاعر الذي كانت الدلالات المقسم عليها ذاتية خاصة في سياقات الفخر والغزل والندم ، أو كانت غيرية في سياقات المدح والهجاء والرثاء.

إذا كان أسلوب القسم في الأساس مما ينتمي إلى باب النحو العربي، فقد رأينا النحاة العرب يذكرونه في باب الإنشاء غير الطلبي، ويعدونه من بين أساليب التوكيد، وهو ما تواءمت معه البلاغة الجديدة في العصر الحديث، وذلك فيما عُرِفَ عندها باسم الحجاج، ومن ثمة صار أسلوب

(١)- أبو إسحاق النجيرمي : أيمان العرب في الجاهلية – تصحيح ونسخ محب الدين الخطيب – المطبعة السلفية ١٣٤٣ه - ص١٢.

القسم آلية من آليات الحجاج في البلاغة الجديدة عند بيرلمان وتيتيكاه، وقد وظفه الشعراء لدحض حجج الخصوم.

وكون أسلوب القسم آلية من آليات الحجاج، فإنه يؤدي في النص الشعري وظيفة حيوية من حيث كونه يستحضر أمام المتلقي فريقين يتحاججان أحدهما يثبت أو ينفي أمرًا أو موضوعًا أو قضية ما، والآخر ـ الحالف أو المُقسِم ـ يدعم كلامه بالقسم لينفي أو يثبت ما يقوله الأول، وكلاهما يوظف ما لديه من الحجج لمواجهة الآخر، وهذه الحوارية الحجاجية ظاهرة أو مضمرة تسهم بالقدر الكبير في حركية النص الشعري، وفي ثرائه الذي لا يقف فقط عند البنية اللغوية والفنية، وإنما لما يحمله من القيم الدلالية التي يستطيع المتلقي الوصول إليها من خلال المراوحة بين بنية النص السطحية ونظيرتها العميقة.

وإذا كان النحو العربي قد خص القَسَم بباب التأكيد، فإن البلاغة العربية القديمة قد أسهمت كذلك في تبيان ملامح القَسَم وسياقات استخدامه تلك التي وقف البحث عليها من خلال خصوصية المقسَم به وهو رب الراقصات باعتباره مركبًا إضافيًّا يصدع توقع المتلقي ويشده إلى النص المقروء.

تشابهت جملة القسم المفتاحية التي عنونا بها للبحث ممثلة المصراع الأول في معظم الأبيات الشعرية التي دللنا بها، فقد جاء المصراع الأول من هذه الأبيات المشار إليها على هذه الصورة اللغوية: حلفت برب الراقصات إلى منًى، وقد خالف هذه الصورةَ اللغويةَ كل من: عمرو بن

كلثوم ومتمم ابن نويرة، إذ جاءت كلمة عشية عندهما مبدلة من كلمة منى، كذلك كان قسم النابغة الذبياني مخالفًا لهذه الصورة؛ حيث لم يتفق معها سوى في فعل القسم المسند إلى الذات المتكلمة حلفتُ، كما اكتفى الأخطل بجملة القسم حلفت برب الراقصات، ولم يجعلها متصدرة البيت وإنما سبقها بدالة التوكيد المسندة إلى ياء المتكلم إني.

وقد يدفعنا هذا التشابه اللفظي للمصراع الأول في الأبيات التي أشرنا إليها، وكلها يجيء على امتداد تاريخ الشعر العربي من العصر الجاهلي حتى القرن السابع الهجري إلى التسليم بأن هذه الجملة القسمية من المداميك اللغوية، أو التعبيرات اللغوية الجاهزة التي تناقلها الشعراء العرب طيلة هذه الفترة الزمنية، أو أن ثمة تناصات لفظ دلالية بين الشعراء الإسلاميين[(١)] والشعراء الجاهليين في جملة القسم هذه، بيد أن ربطها بمشاعر الحج التي يستدعيها العلم الحجي منى هو ما يدفعنا إلى التسليم بإيمان الشعراء بقدسية مشاعر الحج وجمالية منظر الإبل المتوجهة إلى أداء مشاعر الحج، فضلاً عن مكانة الإبل الأثيرة لدى العرب القدامى خاصة في أداء مناسك الحج.

أدت المصاحبات السردية دورًا واضحًا في تحديد الدلالة الشعرية التي أقسم عليها الشعراء، كالذي رأيناه عند جميل بثينة ، وعند كُثَيِّر عزة هذا الذي استحمقه الجاحظ، وأتى بأبياته الأخيرة شاهدة على هذا الحمق، في حين وجدنا شُرَّاح كتاب الجمل لعبد القاهر الجرجاني، وشُرَّاح أبياته

(١) – المراد بالشعراء الإسلاميين هنا شعراء صدر الإسلام ومن جاءوا بعدهم.

يذكرون دلالة الندم التي أكدها الشاعر نفسه عندما أقسم على قبول ما عرضه عبد العزيز بن مروان عليه ، إذا ما عاد لما عرضه مرة أخرى، على أن بين الحمق والندم تقاربًا دلاليًّا يتكيء على قرينة السببية من حيث كون الحمق سببًا في الندم الذي رأيناه عند كُثَيِّر عزّة.

المصادر والمراجع :

أولاً : المصادر :

القرآن الكريم

الأخطل: غياث بن غوث بن طارقة

١- شعره – صنعة السكري برواية ابن حبيب – تحقيق د/ فخر الدين قباوة - ط٤/ ١٩٩٦م – دار الفكر المعاصر – بيروت .

الأزهري : أبو منصور محمد بن أحمد

٢- تهذيب اللغة – تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ومحمود فرج العقدة - الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٤م.

ابن أبي الإصبع: أبو محمد زكيّ الدين بن عبد الواحد

٣- تحرير التحبير – تحقيق حفني محمد شرف - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – مصر.

٤- بديع القرآن – تحقيق حفني محمد شرف ص ١١٢- دار نهضة مصر.

الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين

٥- كتاب الأغاني - دار الثقافة – بيروت ١٩٥٧م.

الأعشى: ميمون بن قيس.

٦- ديوانه – شرح وتعليق د/ محمد محمد حسين - مكتبة الآداب – القاهرة ١٩٥٠م.

البطليوسي: ابن السيد أبو محمد عبد الله بن محمد:

٧- شرح أبيات الجمل – دراسة وتحقيق عبد الله الناصير – ط١/ ٢٠٠٠م – دار علاء الدين – دمشق – سوريا .

البعلي: محمد بن أبي الفتح

٨- الفاخر في شرح جمل عبد القاهر – تحقيق د/ ممدوح محمد خسارة - ط١/٢٠٠٢م – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت – السلسلة التراثية رقم ٢٤.

البغدادي: عبد القادر بن عمر

٩- خزانة الأدب ولُب لُباب لسان العرب – تحقيق وشرح عبد السلام هارون - ط٤/ ٢٠٠٠م – مكتبة الخانجي – القاهرة.

الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب

١٠- البيان والتبيين – تحقيق وشرح عبد السلام هارون - ط٧/ ١٩٩٨م – مكتبة الخانجي – القاهرة.

الجزري: عز الدين ابن الأثير أبو الحسن علي بن محمد

١١- أسد الغابة في معرفة الصحابة – تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود - دار الكتب العلمية – بيروت.

ابن جعفر: أبو الفرج قدامة

١٢- نقد الشعر – تحقيق كمال مصطفى - ط٣/ ١٩٧٨م – مكتبة الخانجي – القاهرة.

الجمحي: محمد ابن سلام

١٣- طبقات فحول الشعراء – قرأه وشرحه محمود محمد شاكر - مطبعة المدني – القاهرة ١٩٧٤م.

الحلبي: ابن الأثير

١٤- جوهر الكنز – تحقيق وتقديم د/ محمد زغلول سلام - منشأة المعارف – الإسكندرية – ٢٠٠٠م .

ابن حمدون: محمد بن الحسن بن علي

١٥- التذكرة الحمدونية – تحقيق د/ إحسان عباس وبكر عباس - ط١/ ١٩٩٦م – دار صادر – بيروت.

الحموي: ابن حجة

١٦- خزانة الأدب – تقديم وضبط د/ صلاح الدين الهواري - ط١/ ٢٠٠٦م – المكتبة العصرية – بيروت.

الخزاعي: كُثَير بن عبد الرحمن " كُثَير عزة "

١٧- ديوانه – جمع وشرح د/ إحسان عباس - دار الثقافة – بيروت ١٩٧١م.

الذبياني: النابغة زياد بن عمرو

١٨- ديوانه – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - ط٢/ ١٩٨٥م – دار المعارف – القاهرة.

الرازي:

١٩- تفسيره المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب - ط٣/ ١٩٨٥م – دار الفكر – بيروت.

الزبيدي: السيد محمد مرتضى الحسيني

٢٠- تاج العروس من جواهر القاموس – تحقيق عبد السلام هارون - ط٢/ ١٩٩٤م – مطبعة حكومة الكويت.

الزركشي: أبو عبد الله، بدر الدين، محمد بن بهادر بن عبد الله

٢١- البرهان في علوم القرآن – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - ط٢ – دار المعرفة – بيروت.

سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر

٢٢- الكتاب – تحقيق وشرح عبد السلام هارون - مكتبة الخانجي – القاهرة ١٩٩٢م.

ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي :

٢٣- المخصص - دار الكتب العلمية – د- ت.

ابن العبد: طرفة بن العبد بن سفيان بن مالك

٢٤- ديوانه - شرح الأعلم الشنتمري – تحقيق درية الخطيب ، لطفي الصقال - ط٢/ ٢٠٠٠م – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت – ودائرة الثقافة والفنون بالبحرين.

ابن عبد البر: أبو عمر يوسف

٢٥- الاستيعاب في معرفة الأصحاب - دار الفكر- بيروت ٢٠٠٦م.

العسقلاني : أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر

٢٦- الإصابة في تمييز الصحابة – تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي - ط١/ ٢٠٠٨م – مركز هجر للبحوث العربية والإسلامية.

العسكري : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل

٢٧- كتاب الصناعتين – تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم - ط٢/ ١٩٧١- دار الفكر العربي – القاهرة.

العلوي: يحيى بن حمزة

٢٨- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ٣/ ١٥٣- ١٥٤- دار الكتب العلمية.

ابن عُنين: شرف الدين أبو المحاسن محمد بن نصر

٢٩- ديوانه – تحقيق خليل مردم بك - الطبعة الثانية – دار صادر – بيروت – د.ت.

ابن فارس: أبو الحسين أحمد

٣٠- مقاييس اللغة – تحقيق وضبط عبد السلام هارون - دار الفكر – دمشق ١٩٧٩م.

الفارسي: أبو علي الحسن بن أحمد

٣١- كتاب الإيضاح تحقيق د/ كاظم بحر المرجان - ط٢/ ١٩٩٦م – عالم الكتب.

القيرواني: أبو علي الحسن بن رشيق

٣٢- العمدة في صناعة الشعر ونقده – تحقيق وشرح د/ مفيد قميحة - ط١/ ١٩٨٣م – دار الكتب العلمية – بيروت.

ابن كلثوم: أبو عباد عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب

٣٣- ديوانه - تحقيق وشرح د/ إميل بديع يعقوب - ط٢/ ١٩٩٦م – دار الكتاب العربي – بيروت.

المرزباني : أبو عبيد الله محمد بن عمران

٣٤- معجم الشعراء – تصحيح وتعليق د/ ف ٠ كرنكو - ط٢/ ١٩٨٢م – دار الكتب العلمية.

ابن مَعْمر : جميل بن عبد الله " جميل بثينة "

٣٥- ديوانه – جمع وتحقيق وشرح د/ إميل بديع يعقوب - ط١/ ١٩٩٢م – دار الكتاب العربي – بيروت.

ابن منظور: محمد بن مكرم

٣٦- لسان العرب - دار الفكر – د.ت.

ابن ميادة: الرماح بن أبرد بن سراقة

٣٧- ديوانه – جمع وتحقيق د/ حنا جميل حداد - مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٢م.

النجيرمي: أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن محمد

٣٨- أيمان العرب في الجاهلية – تصحيح ونسخ محب الدين الخطيب - المطبعة السلفية ١٣٤٣هـ.

الهلالي : حميد بن ثور

٣٩- ديوانه – جمع وتحقيق د/ محمد شفيق البيطار - ط١/ ٢٠٠٢م – المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب – الكويت.

الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد

٤٠- التفسير البسيط – تحقيق د/ محمد بن منصور الفايز - سلسلة الرسائل الجامعية – ١٠٥- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – ١٤٣٠هـ .

ابن يعيش: يعيش بن علي

٤١- شرح المفصل – تقديم د/ إميل بديع يعقوب– ط١/ ٢٠٠١م – دار الكتب العلمية.

ثانيًا : المراجع :

بروكلمان: كارل

٤٢- تاريخ الأدب العربي – ترجمة د/ عبد الحليم النجار - ط٥/ ١٩٨٣م - دار المعارف - القاهرة.

البطل: د/علي

٤٣- الصورة الفنية في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري - ط٢/ ١٩٨١م – دار حراء للنشر والتوزيع.

الجبوري : د/ يحيى وهيب

٤٤- الشعر الجاهلي : خصائصه وفنونه - ط٩/ ٢٠٠١م – مؤسسة الرسالة – بيروت.

حاوي: إيليا

٤٥- الأخطل في سيرته ونفسيته وشعره - ط٢/ ١٩٨١م – دار الثقافة – بيروت.

حسين: د/ محمد محمد

٤٦- الهجاء والهجاؤون في الجاهلية - مكتبة الآداب– القاهرة – ١٩٤٧م.

رضوان: د/ ياسر عبد الحسيب

٤٧- شعر حميد بن ثور الهلالي – دراسة أسلوبية - ط١/ ٢٠٠٨م.

رومية: د/ وهب أحمد

٤٨- بنية القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي ـ قصيدة المدح نموذجًا ـ - دار سعد الدين – دمشق ١٩٩٧م .

السلامي: محمد المختار:

٤٩- القسم في اللغة وفي القرآن ط١/ ١٩٩٠م – دار الغرب الإسلامي.

الشهري : عبد الهادي ظافر

٥٠- إستراتيجيات الخطاب : مقاربة لغوية تداولية - ط١/ ٢٠٠٤م – دار الكتاب الجديد – بنغازي – ليبيا.

شوارب: د/ السعيد حامد

٥١- المدح في الشعر الجاهلي - مطبعة المدني – القاهرة ١٩٩٦م ٠

الصغير: د/ محمد أحمد :

٥٢- الأدوات النحوية في كتب التفسير – ط١/ ٢٠٠١م – دار الفكر – دمشق - سورية ، دار الفكر المعاصر – بيروت – لبنان.

الصفار: ابتسام مرهون

٥٣- مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي– مطبعة الإرشاد – بغداد ١٩٦٨م.

صولة: عبد الله

٥٤- الحِجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال : مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة لبرلمان تيتكاه - ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم – إشراف حمادي صمود – كلية الآداب – منوبة – جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية – تونس.

ضيف: د/ أحمد شوقي عبد السلام

٥٥- التطور والتجديد في الشعر الأموي - ط٥/ ١٩٧٣م – دار المعارف – القاهرة .

عيد: د/ محمد عبد الباسط

٥٦- في حجاج النص الشعري - ط١/ ٢٠١٣م – أفريقيا الشرق – المغرب.

نصار: د/ حسين :

٥٧- القسم في القرآن الكريم – ط١/ ٢٠٠١م – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة .

ثالثًا : الرسائل الجامعية :

الحارثي: علي بن محمد بن عبد المحسن :

٥٨- أسلوب القسم في القرآن الكريم دراسة بلاغية – كلية اللغة العربية – جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية ١٤١١هـ/ ١٩٩١م

عياش: جملة داود عبد المحسن :

٥٩- أسلوبا الشرط والقسم بين لغة الشعر الجاهلي ولغة الحديث – كلية الآداب – جامعة الشرق الأوسط ٢٠١٠م.

الهتاري: عبد الله علي عبد الله:

٦٠- القسم في القرآن الكريم : تركيبًا ودلالة – كلية الآداب – جامعة اليرموك ١٩٩٩م.

رابعًا : الدوريات :

٦١- مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية – الجامعة الأردنية - المجلد ٤٠ – العدد ٣ – ٢٠١٣م.